

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دولة فلسطين
وزارة التربية والتعليم العالي

العقيدة

للف الحادي عشر

فرع التعليم الشرعي

المؤلفون

د. خضر عبد اللطيف السده

أ. إسماعيل محمد النجار

د. سعيد سليمان القيق «منسقاً»

د. موسى إسماعيل البسيط

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»



قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين
تدريس كتاب العقيدة لفرع التعليم الشرعي ابتداءً من العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠١١

■ الإشراف العام: أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

■ الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعي:

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إسماعيل أمين نواهضة

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»

د. سعيد سليمان القيق

د. حمزة ذيب مصطفى

د. شفيق موسى عياش

أ. د. حافظ محمد الجعبري

■ تحكيم علمي:

أ. رائد شريدة

■ تحرير لغوي:

أ. كمال فحماوي

■ الإخراج الفني:

الطبعة الأولى التجريبية

٢٠١٣ / ١٤٣٤ هـ

© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي / مركز المناهج

مركز المناهج - حي المصيون - شارع المعاهد - أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة

ص. ب. ٧١٩ - رام الله - فلسطين، تلفون: ٢٩٦٩٣٥٠ - ٢٩٦٩٣٧٧ فاكس: ٩٧٠ - ٢٩٦٩٣٧٧ - ٩٧٠

الصفحة الإلكترونية: www.pdc.edu.ps - العنوان الإلكتروني: pdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من علمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادين كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة - الفرع الشرعي - فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاز هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي

مركز المناهج

الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية

نيسان ٢٠١٠ م

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد إمام العلماء العاملين وعلى آله وصحبه المتقين ومن تبع هداهم وسار على منهجهم واقتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد:-
فهذا كتاب في «العقيدة الإسلامية» حرصنا على تأليفه لأبنائنا الأعزاء من طلبة الصف الحادي عشر الشرعي، وقد راعينا فيما عرض فيه من موضوعات تتلاءم مع مستوى النضوج العقلي والفكري لأبنائنا، من جهة وما يتسم به ديننا الحنيف من يسر، فقدمنا المعرفة بأسلوب سهل ميسر، يحفز العقول للتفكير والتحليل، والتركيب وربط المعرفة بواقع الحياة.
كما حرصنا على إثراء المحتوى التعليمي للكتاب بالنصوص الشرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، مستفيدين من آراء العلماء.

وقد التزمنا في محتوى الكتاب ومنهجه القيم والمبادئ الأصلية، وأولينا الجانب الوجداني والسلوكي عناية واهتماماً، وكلنا ثقة بحرص المعلمين على ذلك؛ لان الفائدة من الكتاب لن تتحقق إلا بإخلاص وبذل جهودهم وإعمال خبرتهم في تدريسه.

فالوحدة الأولى وتتناول العقيدة الإسلامية من حيث مفهومها، وأهميتها، ومصادرها وخصائصها، وأثرها على الفرد والمجتمع ونواقض الإيمان بأنواعها الثلاث: الاعتقادية والقولية والعملية.
أمّا الوحدة الثانية فقد اشتملت على الإيمان بالله تعالى، ويشتمل على الأدلة على وجود الله تعالى وتوحيده، وأنواع الضلال.

أمّا الوحدة الثالثة، فقد تناولنا الحديث فيها عن الملائكة وأدلة الإيمان بهم وأعمالهم وصفاتهم، وأثر الإيمان بهم، وعلاقة الجن بالملائكة والإنسان.

أما الوحدة الرابعة، فقد اشتملت على الإيمان بالكتب السماوية السابقة من حيث التعريف بها، وبمن نزلت عليهم من الأنبياء وكذلك ما أصابها من تحريف، وذكر نماذج على ذلك، وموقف الإسلام من هذه الكتب السماوية المحرفة.

أما الوحدة الخامسة، فقد اشتملت على الإيمان بالأنبياء والرسل، ومفهوم النبوة والرسالة، وحاجة الناس إلى الرسل، وصفات الأنبياء والرسل، وختم النبوة والبشرى ببعثة محمد ﷺ.

أما الوحدة السادسة، فقد اشتملت على الإيمان باليوم الآخر مفهومه وأدلته، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، ونعيم القبر وعذابه وأحوال يوم القيامة.

وأما الوحدة السابعة، فقد اشتملت على الإيمان بالقضاء والقدر مفهومه وأدلته، ومسألة الجبر والاختيار، والهداية والضلال، وآثار الإيمان بعقيدة القضاء والقدر.

وإننا إذ نطرح هذا الكتاب بين يدي أبنائنا الطلبة، وإخواننا المعلمين، لندرج أن يكون في ملحوظاتهم حول ما فيه من موضوعات، إثراء يساهم في تطويره وتحسينه، فهذه نسخة أولى تجريبية، بذلنا فيها مجهودنا، فإن كان في ذلك إحسان فمن الله تعالى، وله الحمد والثناء الحسن، وإن كان غير ذلك، فمننا ومن الشيطان، والله ولي الغفران، وإياه سبحانه وتعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن ييسر تحقيق أهدافه.

والله ولي التوفيق

المؤلفون

المحتويات

٢	العقيدة: مفهومها وأهميتها وأثرها على الفرد والمجتمع	الدرس ١	الوحدة الأولى: العقيدة الإسلامية: أهميتها، مصادرها، خصائصها
٥	مصادر العقيدة الإسلامية	الدرس ٢	
٨	خصائص العقيدة الإسلامية (١)	الدرس ٣	
١١	خصائص العقيدة الإسلامية (٢)	الدرس ٤	
١٣	نواقض الإيمان (١)	الدرس ٥	
١٦	نواقض الإيمان (٢)	الدرس ٦	
٢١	الأدلة على وجود الله تعالى (١)	الدرس ٧	الوحدة الثانية: الإيمان بالله تعالى
٢٤	الأدلة على وجود الله تعالى (٢)	الدرس ٨	
٢٨	توحيد الله تعالى	الدرس ٩	
٣٢	أنواع الضلال (١)	الدرس ١٠	
٣٥	أنواع الضلال (٢)	الدرس ١١	
٤٣	الإيمان بالملائكة: الأدلة على وجودهم وصفاتهم	الدرس ١٢	الوحدة الثالثة: الإيمان بالملائكة
٤٧	من أعمال الملائكة وأثر الإيمان بهم	الدرس ١٣	
٥٠	علاقة الجن بالملائكة	الدرس ١٤	
٥٣	علاقة الإنسان بالجن	الدرس ١٥	
٥٧	الإيمان بالكتب السماوية	الدرس ١٦	الوحدة الرابعة: الإيمان بالكتب السماوية
٦٠	الكتب السماوية السابقة	الدرس ١٧	
٦٤	الكتب السماوية السابقة بين التحريف والثبوت	الدرس ١٨	
٦٨	القرآن الكريم	الدرس ١٩	
٧١	النبوة والرسالة: مفهومها وأدلتها	الدرس ٢٠	الوحدة الخامسة: الإيمان بالأنبياء والرسل
٧٥	حاجة الناس إلى الرسل	الدرس ٢١	
٧٨	صفات الأنبياء والرسل	الدرس ٢٢	
٨١	ختم النبوة	الدرس ٢٣	
٨٥	البشرى ببعثة محمد ﷺ	الدرس ٢٤	

٨٩	الإيمان باليوم الآخر: مفهومه وأدلته	الدرس ٢٥	الوحدة السادسة الإيمان باليوم الآخر
٩٢	أشراط الساعة الصغرى	الدرس ٢٦	
٩٥	أشراط الساعة الكبرى	الدرس ٢٧	
٩٨	نعيم القبر وعذابه	الدرس ٢٨	
١٠٢	أهوال يوم القيامة	الدرس ٢٩	
١٠٧	الإيمان بالقضاء والقدر: مفهومه وأدلته	الدرس ٣٠	الوحدة السابعة: الإيمان بالقضاء والقدر
١١٠	الجبر والاختيار	الدرس ٣١	
١١٤	الهداية والضلال	الدرس ٣٢	
١١٧	آثار الإيمان بالقضاء والقدر	الدرس ٣٣	
١٢١	المصادر والمراجع		

العقيدة الإسلامية

أهميتها، مصادرها،
خصائصها



استعمل القرآن الكريم كلمة الإيمان في التعبير عن العقيدة، ولذا فالإيمان والعقيدة كلمتان مترادفتان، وإن كانت كلمة الإيمان لها إحياء أعمق في النفس الإنسانية .
فما الفرق بين مفهومَي العقيدة والإيمان؟، وما أهمية العقيدة وأثرها في الفرد والمجتمع؟

■ تعريف الإيمان والعقيدة:

- الإيمان في اللغة: يطلق على التصديق .
- وفي الاصطلاح: تصديق القلب بحقائق هذا الدين وأركانه . وهذا يقتضي اجتماع ثلاثة أمور:
الأول: التصديق القلبي الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، لا شريك له، وأن محمداً رسول الله ومبلّغ شريعة ربه .
الثاني: الإقرار باللسان، ويعني تلفظ الإنسان بالشهادتين .
الثالث: عمل الجوارح بالأركان، والتزامها بمقتضيات هذا الإيمان من حيث الفعل أو الترك .
- وأما العقيدة في اللغة: مشتقة من الفعل عَقَدَ، بمعنى ربط وشدّ، والعقد نقيض الحل، يقال: عقدت الحبل فهو معقود ومشدود .
وتأتي عَقَدَ بمعنى أكد وألزم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْقُضُ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ النحل: ٩١ .
- والعقيدة في الاصطلاح: هي الحقائق التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً راسخاً، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك .
ومن هنا تلتقي المعاني اللغوية والاصطلاحية لكل من الإيمان والعقيدة، على معنى التصديق والجزم الذي يبدأ من القلب، ويشهد له اللسان، ويصدق العمل الصالح .

■ أهمية العقيدة:

ولا شك أن الفرد الصالح -رجلاً كان أو امرأة- هو أساس المجتمع الصالح، ومقياس صلاح الفرد صحة عقيدته، واستقامة سلوكه، وسلامة فطرته . وللعقيدة الإسلامية أهمية بالغة، وأثر عظيم في بناء الفرد وصلاح المجتمع تتمثل فيما يأتي:

■ أولاً: أهمية العقيدة وأثرها في الفرد:

كان للعقيدة الإسلامية أثرها الواضح في الفرد، فقد أخرجته من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، وأنشأت جيلاً فريداً متميزاً من الصحابة الأبرار، وقد ظهرت آثارها في الفرد عبر جوانب متعددة:

- تعريف الإنسان بحقيقة نفسه، وسر وجوده، وماذا بعد وجوده، فلا يعود كما مهملاً، أو مجرد مخلوق يعيش على هامش الحياة.
- تحرير عقل الإنسان وقلبه من الشرك والخرافة والعقائد الباطلة، وتوجيهه إلى عبادة الواحد الأحد؛ **قال تعالى:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **الذاريات: ٥٦**. وهذا ما عبر عنه ربي بن عامر حين خاطب قائد الفرس قائلاً: إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.
- بناء الإنسان الفاضل الملتزم في سلوكه وأخلاقه بالفضائل، البعيد عن الرذائل.
- ترسيخ محبة الله سبحانه في نفس المسلم، وكذلك محبة رسوله ﷺ، ومحبة الإسلام، فأثمرت طاعة والتزاماً وإيثاراً؛ **قال ﷺ:** «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(١).
- زرع الطمأنينة والرضا في نفس المسلم، وهذا مقتضى إيمان المسلم بأهم قضيتين في حياته وهما: الأجل والرزق. فيعيش المسلم حياته راضياً مطمئناً بعيداً عن الخوف أو الهم أو الحزن.
- تربية الإنسان على الجرأة في الحق، انطلاقاً من واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصحية لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ **قال سبحانه وتعالى:** ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ **آل عمران: ١١٠**.

وبذلك تتكون الشخصية الشمولية المتوازنة للفرد، بحيث تقوم على الاعتراف بكل جوانب تكوين الإنسان الروحية والجسدية والعقلية والنفسية، فيحرص على تلبية جميع احتياجاته روحية وعقلية وجسدية، فلا يطغى جانب على آخر ولا يهمل أو يتنكر لأيٍّ منها.

١ متفق عليه؛ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

■ ثانياً: أثر العقيدة في المجتمع:

ينعكس تأثير العقيدة الإسلامية في الأفراد بشكل بيّن واضح على المجتمع الذي يتشكل من مجموع أولئك الأفراد، وهذا يتجلى فيما يأتي:

- إيجاد مجتمع متعاون على البر والخير، بعيد عن الأنانية، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢ .
- إيجاد مجتمع متوحد و مترابط قائم على التراحم والمحبة بين المرء وأخيه، وبين أفراد الأسرة الواحدة ذكوراً وإناثاً، وبين مجموع أسرهم وأفرادهم.
- تحصين المجتمع من أي انحراف أو فساد، فالعقيدة هي التي تولد محبة الله، ثم تقوى الله وخشيته التي هي الضمانة الحقيقية لسلامة المجتمع، ففقدان العقيدة يضع المجتمع في مهب الريح، ويجعله سائغاً لأصحاب الأهواء والشهوات والفساد.

نشاط:

في ضوء فهمي لدور العقيدة في بناء المجتمع، أناقش المقولة الآتية:
صلاح الفرد صلاح للمجتمع.

التقويم

- 1 أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
أ () العقيدة والإيمان كلمتان مترادفتان.
ب () تهتم العقيدة ببناء الإنسان الصالح: رجل أو امرأة.
ج () يهتم الإسلام بجانب الروح على حساب الجسد.
- 2 أوضّح العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للعقيدة الإسلامية.
- 3 أبيّن أسباب الطمأنينة لدى المسلم.
- 4 أوضّح آثار العقيدة الإسلامية على المجتمع.
- 5 أذكر أثر العقيدة الإسلامية على عقل المسلم.
- 6 أستنبط من خلال الدرس ثلاث صفات للشخصية المتوازنة.

عرفت البشرية في تاريخها الطويل الكثير من العقائد والديانات، وكانت مصادرها متعددة: فمنها ما هو من وضع الإنسان؛ كالمجوسية، ومنها ما هو وحي من السماء؛ كالديانات السماوية. فالعقيدة الإسلامية مستمدة من الوحي المنزل على الرسول محمد ﷺ، والوحي نوعان: وحي متلو وهو القرآن الكريم، ووحي غير متلو وهو السنّة النبوية المشرفة، وقد اصطلح العلماء على تسمية المصدر الذي يعتمد على الوحي بـ«النقل»؛ لأنه يعتمد النصوص المنقولة من القرآن، والأحاديث المأثورة عن المصطفى ﷺ.

■ القرآن الكريم

احتوى القرآن الكريم على قدر عظيم من الآيات المتعلقة بالعقيدة بقصد ترسيخها في قلوب المؤمنين.

أفكر:

الآيات الواردة في الأحكام الشرعية مقارنة مع الآيات التي تتحدث عن أمور العقيدة قليلة، فهي لا تعدو ستمئة آية. لماذا؟

جاء القرآن الكريم لترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وإيضاحها للناس أجمعين؛ وذلك لبيان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى عن الملائكة، والكتب، والنبين، واليوم الآخر، والقدر: خيرِه وشرِه، والإيمان بكل ما أخبر به المرسلون. ظلّ القرآن الكريم يتنزل على رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة كاملة يؤكد فيها على قضية واحدة بأساليب متعددة، حيث كان يعالج القضية الكبرى الأساسية في هذا الدين الكريم، وهي العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة: الربوبية والألوهية. كما اشتمل القرآن الكريم على كثير من المباحث العقدية، تهيئة للعقيدة الصحيحة ودحضا للمعتقدات الفاسدة، وقد اتخذ في ذلك وجهين اثنين هما:

- أحدهما: هدم العقائد الباطلة.
- وثانيهما: بناء العقيدة الصحيحة التي تملأ النفس بالإيمان واليقين.

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم وأحصي في صفحة من صفحاته الآيات التي تتحدث عن موضوعات في العقيدة.

■ السنة النبوية:

حفلت السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بأحاديث كثيرة في العقيدة تتعلق بالإيمان، وتوحيد الله وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وأنبيائه وملائكته، وأشراط الساعة وأهوال القيامة، ونعيم القبر وعذابه. والناظر في كتب السنة، وموسوعات الحديث، يجدها تفيض بموضوعات العقيدة على وجه التفصيل.

وقد كان الصحابة حريصين كل الحرص على التلقي عن رسول الله ﷺ، والتصديق بما جاء به، وحسن الفهم عنه، بعيداً عن الجدل والخلاف، ثم المسارعة إلى تطبيقه والالتزام بما يتلقونه من آية أو حديث في العقيدة.

كما يمكن الوصول إلى الإيمان بالله من خلال مسلكين:

■ الأول: مسلك الفطرة:

العباد مفطورون على الإيمان الصحيح كما ذكر الله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]. فمعرفة الله مركوزة في الفطرة، يقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١) ومعنى الفطرة هنا هي: «فطرة الإسلام»، فلو ترك الصغير وفطرته لاهتدى إلى الإيمان، أما إذا وجد في بيئة غير بيئة الإيمان فإنه يتأثر بما يؤمن به أفراد بيئته.

نشاط:

أناقش المقصود بقول الرسول ﷺ: «فابواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

فكثير من الأفكار تصل إلى مرتبة العقيدة الراسخة عن طريق الهداية الفطرية، دون أن يستطيع المكلف إقامة الدليل المادي على ما يعتقد به، وهذه قضية مهمة جداً؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - فطر عباده على فهم الأمور بأبسط الدلائل، والأعرابي استدل على وجود الله - سبحانه وتعالى - بدلائل الفطرة؛ لأن الفطرة تدل على أن هذا الكون لا بد له من خالق؛ فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على الحكيم الخبير.

١ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

■ الثاني: مسلك العقل:

إن للعقل السليم دوراً في الاهتداء إلى وجود الخالق والاستدلال على وحدانيته، بيد أن هنالك قضايا في الاعتقاد ليس بإمكان العقل معرفة كنهها، مثل: ذات الله والروح والغيب، وفيما عدا ذلك فإنّ العقل البشري مدعوٌ للنظر والتدبر فيه، فالعقل السليم لا يناقض النقل الصحيح، كذلك فإنّ العقل يدرك وجود الله وعظمته، واتصافه بصفات الكمال والجلال.

ويتضح مما سبق أن الفطرة والعقل السليم يلتقيان مع الكتاب والسنة، ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل؛ فالفطرة يُتوصل بها إلى وجود الله وعظمته، وضرورة طاعته وعبادته، واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم، والعقل يؤكد على هذه الفطرة ويعززها.

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () يستطيع الإنسان الاهتداء بفطرته إلى وجود الله.
 - ب () يكتفى بالقرآن الكريم مصدراً للعقيدة الإسلامية.
 - ج () الفطرة والعقل السليم تتفقان مع الكتاب والسنة.
 - د () الآيات القرآنية المختصة بالأحكام أكثر من الآيات المتعلقة بالعقائد.
- ٢ اتخذ الأسلوب القرآني في تناول العقائد وجهين، أذكرهما.
- ٣ كيف تلقى الصحابة رضي الله عنهم العقيدة الإسلامية.
- ٤ أعلل: يطلق العلماء على المصدر الذي يستند إلى الوحي «النقل».
- ٥ أستنتج الفرق بين الاستدلال بالقرآن الكريم والاستدلال بالفطرة والعقل على الإيمان.

بعد أن عرفنا مفهوم العقيدة الإسلامية، وأهميتها، ومصادرها، لا بدّ من التعرف على خصائص العقيدة التي ميّزتها عن غيرها من العقائد المحرّفة والباطلة، وهذه الخصائص هي:

■ العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية:

فالعقيدة الإسلامية إلهية المصدر، وهي بجميع أركانها وتصوراتها عن الخالق سبحانه والكون والإنسان والحياة عقيدة ربانية موحى بها من عند الله؛ **قال تعالى:** ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ **الشورى: ١٣.**

ولقد ركّز القرآن على هذه الخصيصة، فنفي نفيًا قاطعًا أن يكون لأحد من الناس أيّ تدخل في وضع شيء من هذه العقيدة، ودفعًا لما يتوهمه البعض من أن الرسول ﷺ هو الذي وضعها أو رسم معالمها، فقد بيّن القرآن أن محمداً ﷺ لم يكن إلا متلقيًا من ربه ومبلغًا عنه؛ **قال تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **الشورى: ٥٢.**

ويترتب على كون العقيدة الإسلامية ربانية الأمور الآتية:

- القدسية والإجلال، ما يدفع إلى احترامها والالتزام بها.
- الحماية من أيّ عبث بشري يؤدي إلى التغيير أو التبديل، كما حصل للمعتقدات السماوية السابقة؛ ما جعلها تفقد خاصية الربانية.
- الحفظ من الخرافات والأوهام التي قد يميل إليها العقل البشري عند فقدانه التوجيه الإلهي.

أناقش:

هل هناك تعارض بين ربانية العقيدة ودور العقل ومكانته فيها؟

■ انسجامها مع الفطرة واتفاقها مع العقل:

تمتاز العقيدة الإسلامية بأن كل ما جاءت به من حقائق يتفق مع الفطرة الإنسانية ولا يتناقض معها. وقد أثبتت النصوص الشرعية أن الإسلام دين الفطرة؛ **يقول سبحانه:** ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠.

كما يوضح النبي ﷺ هذه الحقيقة في **قوله ﷺ:** «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودونه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١)، حيث يتبين من الحديث أن ما يحصل في الفطرة من انحراف من أسبابه البيئية المحيطة بالإنسان.

وانسجام العقيدة مع الفطرة يُدخل السعادة والطمأنينة في نفس المؤمن، كما أن اتفاقها مع العقل كقوة واعية مدركة يدفع إلى التدبر والنظر في الكون والإفادة مما فيه من عجائب خلق الله الدالة على قدرته سبحانه؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤.

■ يسرها ووضوحها:

اليسر والسهولة والوضوح من أبرز سمات العقيدة الإسلامية، فهي عقيدة يفهمها كل مسلم سواء أكان متعلماً أم أمياً، كما أنها تتلاءم مع كل المستويات العقلية والثقافية والاجتماعية؛ وذلك لأنها خالية من التعقيد والغموض، ومن مظاهر يسرها وسهولتها:

١ وضوح الأساس الذي تقوم عليه وهو التوحيد، فالله واحد، وهو صاحب السلطان على كل مخلوق في هذا الكون؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ١.

٢ العلاقة التي تقيمها بين العبد وربّه علاقة واضحة، تتمثل في عبودية العبد لربه، فيتوجه إليه بالطلب والرجاء والخشية والدعاء دون واسطة أحد أو شفاعاة الآخرين، فليس في الإسلام رهبانية، ولا رجال دين، ولا صكوك غفران، فالخلق جميعهم عند الله سواء، لا فضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

١ سبق تخريجه.

فَلَيْسَتْ جِبُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ البقرة: ١٨٦ .

٣ تجاوب الناس معها عبر التاريخ الطويل ، وانتشارها في معظم بقاع العالم في فترة وجيزة من غير إكراه أو إجبار ، فالذين رفضوا العقيدة وناصبوها العداة قديماً وحديثاً هم غالباً من الجهلة الذين أغفلوا عقولهم وانقادوا لشهواتهم وأهوائهم .

نشاط صفّي:

أناقش مع زملائي كيفية الاستفادة من خاصية وضوح العقيدة في دعوة غير المسلم إلى الإسلام .

التقويم

- ١ أذكر مظاهر يسر العقيدة الإسلامية .
- ٢ أوضّح انسجام العقيدة مع الفطرة الإنسانية .
- ٣ بمّ أرد على من يقول : إنّ العقيدة الإسلامية من وضع البشر .
- ٤ أبين ثلاثة من الآثار المترتبة على ربانية العقيدة الإسلامية .
- ٥ أبين المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جِبُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦ .

تعرفنا في الدرس السابق على ربانية العقيدة الإسلامية ويسرها ووضوحها وانسجامها مع الفطرة البشرية، وفي هذا الدرس بيان لبقية الخصائص:

■ الوسطية والاعتدال:

العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية تتسم بالتوازن من غير غلو ولا إسراف، ومن غير إفراط أو تفريط، ومن مظاهر وسطيتها:

- موقفها من الخالق، فقد جاءت وسطاً بين العقائد التي تنكر الخالق، وتنكر كل ما وراء الطبيعة، وبين العقائد التي تزعم أن للعالم أكثر من إله، كما أنها وسط في نظرتها إلى أسماء الله وصفاته بين أهل التعطيل الذين أنكروا أسماء الله وصفاته، وبين أهل التمثيل الذين ضربوا الله الأمثال وشبهوه بال مخلوقات، فالعقيدة الإسلامية أثبتت جميع أسماء الله وصفاته الثابتة في النصوص الشرعية من غير تعطيل ولا تأويل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف.

■ نشاط:

أبحث عن المقصود بالتعطيل والتمثيل في أسماء الله وصفاته.

- موقفها من الإيمان بالغيب، فهي وسطية في الإيمان بالغيبيات بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس؛ فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد والإيمان، ولكن بما قام عليه الدليل القطعي، وما عدا ذلك يرفضه ويعتبره من الأوهام؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١.

■ عقيدة شاملة:

العقيدة الإسلامية من جهة المعنى تشمل التصور الكامل عن الإله والكون والإنسان والحياة، فقد عرّفت الإنسان بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته، كما أنها عرّفت الإنسان بالكون في أصل نشأته وطبيعته وخصائصه ومصيره، وعرّفته بحقيقة نفسه كإنسان في أصله وأطوار خلقه وغاية وجوده ورسالته في الحياة، ومن ناحية أخرى فإن هذه العقيدة شملت أحكام الحياة كلها.

■ عقيدة مُبرَهنة:

العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة، بمعنى أنها تقيم البراهين الساطعة والحجج الباهرة على كل مسألة فيها، ولا تلزم الناس بالتسليم الأعمى كما في بعض العقائد الأخرى، فالقرآن الكريم يقيم الأدلة من الكون والنفس على ربوبية الله وألوهيته، ويقيم الأدلة على البعث بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السماوات والأرض وإحياء الأرض بعد موتها، وليس هناك مسألة واحدة من مسائل العقيدة إلا وهي مبرهنة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ .

أناقش:

العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة، أناقش مع زملائي الدور الذي تؤديه هذه الخصيصة في تثبيت الإيمان في النفس .

■ الثبات:

إنّ العقيدة الإسلامية عقيدة ثابتة محددة في حقائقها وأركانها، بمعنى أنها يقينية ذات مفاهيم ثابتة لا تتغير ولا تتطور عبر الأزمان، فلا مجال فيها للزيادة والنقص، ولا تقبل التحريف والتعديل . وثبات العقيدة لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإتّما يعني وجود مقاييس وموازين ثابتة لكل أمر؛ لذا يجب الالتزام بها، وهذه المقاييس يقاس بها نشاط البشر، ويعرف بموجبها الحق من الباطل، والخير من الشر، وفي نطاق حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويكتشف ويطور من وسائل عيشه . ولقد ضمن ثبات العقيدة التماسك للمجتمع الإسلامي أمام الأزمات، وهذا الثبات هو الذي يحول بين الأمة والانحراف .

التقويم

- ١ أذكر المجالات التي تظهر فيها وسطية العقيدة .
- ٢ ما المقصود بالشمول في العقيدة الإسلامية؟
- ٣ هاتِ دليلاً من القرآن الكريم في الاقتناع بالعقيدة الإسلامية .
- ٤ أناقش العبارة الآتية: ثبات العقيدة لا يعني تجميد النشاط الإنساني .

عرفنا فيما سبق أنّ من مسميات العقيدة الإسلامية (الإيمان) وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح. ونتعرض في هذا الدرس إلى بيان نواقض الإيمان، وأنواعه.

أَتَعَلَّمْ:

يطلق العلماء على نواقض الإيمان مسمى آخر وهو (المكفرات).

- **نواقض الإيمان:** هي كلّ اعتقاد أو قول أو عمل يبطل به أصل الإيمان؛ فيُخْرِج صاحبه من الإيمان إلى الكفر.

■ أنواع نواقض الإيمان:

يقسم العلماء نواقض الإيمان إلى ثلاثة أنواع: نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية، وهذا التقسيم الذي ذكره العلماء مبني على أسس، منها: أنّ الاعتقاد هو الأصل لمظاهر السلوك الإنساني في القول والعمل، بل قد يكون هذا السلوك ناشئاً عن الاعتقاد، وعندها تصبح هذه المظاهر دالة على المعتقدات القلبية. كما أنّ الأقوال والأعمال الدالة على الكفر لا تظهر عادة إلا من كافر في عقيدته، إلا أننا لا نحكم على الإنسان بالكفر لمجرد أن صدر منه ذلك قولاً أو عملاً؛ لاحتمال وجود مانع من موانع التكفير، كما سنذكره عند الحديث عن موانع التكفير، ومن هذه الأسس أيضاً أنّ النواقض الاعتقادية لا يدخلها الإكراه.

وستتناول في هذا الدرس الحديث عن النواقض الاعتقادية: أصولها، وصورها:

■ نواقض الإيمان الاعتقادية:

النواقض الاعتقادية: هي الاعتقادات التي تخالف ما عليه أصل الإيمان، أو أيّ ركن من أركانه. وهذه النواقض أصولها ثلاثة:

■ أولاً: الطعن في حق الله سبحانه وتعالى:

فالإيمان بالله عز وجل لا يتحقق إلا بالإقرار بربوبيته وألوهيته سبحانه، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وكل اعتقاد تضمن طعناً في واحد منها يُعدّ ناقضاً من نواقض الإيمان.

ومن صور الاعتقادات التي تتضمن طعناً في حق الله سبحانه وتعالى:

- ١ اعتقادات تتنافى مع توحيد الربوبية؛ كإنكار وجود الله، أو إسناد الخلق لغير الله تعالى؛ كإسناده للطبيعة أو الصدفة أو نحوهما، فكل ذلك يُعدّ طعناً في الربوبية.

٢ اعتقادات تتنافى مع توحيد الألوهية، فكل من أقرّ بالعبودية لغير الله، أو جعل لله شريكاً في عبادته، فقد طعن في ألوهيته سبحانه؛ لأنّ الله أغنى الشركاء عن الشرك، وهذا يتنافى مع عقيدة (لا إله إلا الله) التي تعني: أن لا معبود بحق سوى الله تعالى؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٨ .

٣ اعتقادات تتنافى مع توحيد الله عز وجل في أسمائه و صفاته ، وهي نوعان : نفي وإثبات :

- فإثبات صفة لله -تعالى- نفاها عن نفسه، أو نفاها عنه رسول الله ﷺ يُعَدُّ ناقضاً للإيمان؛ كإثبات الولد أو الجهل أو البخل أو المرض أو غيرها من الصفات التي تعتري البشر .
- نفي صفة أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسول الله ﷺ يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان؛ كنفي علمه أو قدرته أو سمعه أو بصره أو غيرها من الصفات الثابتة في القرآن أو السنة؛ **قال تعالى:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ .

■ ثانياً: الطعن في حق الرسول ﷺ:

محمد ﷺ رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ **قال تعالى:** ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٠ ، اجتباه الله تعالى واصطفاه من خلقه؛ ليكون رحمة للعالمين، فهو بشر يوحى إليه؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠ .

والصدق والأمانة والعصمة من صفات الأنبياء؛ لذا فإنّ كل اعتقاد يخالف ذلك يُعَدُّ من نواقض الإيمان .

ومن صور الطعن في حقه ﷺ: الطعن في صدقه أو أمانته أو عصمته أو وصفه بصفة لا تليق بمقام الأنبياء أو ادعاء أنه ليس خاتم الأنبياء والمرسلين أو بعث لقوم دون غيرهم، فمن اعتقد ذلك فقد نقض الشهادة وحكم بكفره .

■ ثالثاً: الطعن في الرسالة أو ما فيها من أحكام أو أخبار:

ومن صور ذلك :

- الحكم بغير ما أنزل الله تعالى: فمن حكم بغير ما أنزل الله معتقداً نقصان الشريعة، وأنّ حكم غير الله مثل حكم الله أو أفضل منه فقد كفر؛ **لقوله تعالى:** ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤ .

- إنكار ما علم من الدين بالضرورة؛ أي إنكار ما دلت عليه النصوص الشرعية القطعية في ثبوتها ودالاتها، وهو نوعان:

الأول: ما يتعلق بالأحكام الثابتة؛ كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والخمر والربا، وغيرها.

الثاني: ما يتعلق بالأخبار الثابتة؛ كأخبار الآخرة والبعث والحساب والجنة والنار والملائكة والكتب السماوية والقدر خيره وشره؛ **قال تعالى:** ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَلِكُنْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَأَلِكُنْبِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْيَوْمِ ءَأَخْرٍ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ **النساء: ١٣٦**؛ فثبت المؤمن على عقيدته، وحفاظه عليها من كل ما يطعن فيها، وحرصه على طاعة الله عز وجل، حصن له من الوقوع في الضلال والكفر.

التقويم

- أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () إسناد الخلق لغير الله سبحانه ينقض الإقرار بالربوبية، ويُعدُّ من نواقض الإيمان.
 - ب () وصف الأنبياء ﷺ بما لا يليق بمقامهم يُعدُّ كفراً وخروجاً من الملة.
- أعرّف نواقض الإيمان.
- الاعتقادات التي تتنافى مع توحيد الله سبحانه في أسمائه وصفاته نوعان، أوضّحهما.
- أمثل بصورة واحدة لكل ناقض من نواقض الاعتقاد الآتية:
 - أ إنكار ما علم من الدين بالضرورة.
 - ب الطعن في حق النبي ﷺ.
- نواقض الإيمان الاعتقادية ترجع في أصولها إلى ثلاثة أنواع، أذكرها.
- أعلّل ما يأتي:
 - أ الحكم بغير ما أنزل الله يُعدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان.
 - ب قسم العلماء نواقض الإيمان إلى: اعتقادية، وقولية، وعملية.

تعرفنا في الدرس السابق على النواقض الاعتقادية للإيمان، وستتعرف في هذا الدرس على النواقض القولية والعملية.

■ نواقض الإيمان القولية:

نواقض الإيمان القولية: هي كل قول فيه اعتراف بعقيدة باطلة، أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، أو فيه استهزاء بعقائد الدين أو أحكامه، ومن صور ذلك:

- سبّ الله تعالى أو سبّ النبي أو أحد الأنبياء أو سبّ ملك من الملائكة أو سبّ الدين أو الكتب السماوية، وكل قول لا ينزه الله تعالى عن العيوب والنواقص؛ كنسبة الظلم والجور إليه سبحانه.

- الاستهزاء بعقائد الدين وأحكامه؛ كالاستهزاء بالرسول أو بالجنة أو النار أو غير ذلك من العقائد، وكالاستهزاء بالصلاة أو الصيام أو الحج أو غيرها من الأحكام؛ **قال تعالى:** ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْرَ كُفْرِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذَّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿التوبة: ٦٥ - ٦٦﴾.

■ نشاط صفّي:

أناقش رأي الإسلام فيما يتناقله بعض الناس من شتائم واستهزاء بالدين من باب الفكاهة.

■ نواقض الإيمان العملية:

نواقض الإيمان العملية: هي كل عمل يعتبر علامة ظاهرة دالة على عقيدة باطلة.

ومن صور ذلك:

- التوجه بأي شكل من أشكال العبادة لغير الله سبحانه؛ كالسجود والركوع لغير الله، مثل: السجود للأصنام أو الكواكب أو للظواهر الكونية أو غيرها من أشكال العبادة؛ **قال تعالى:** ﴿وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿الزخرف: ٤٥﴾.

- أعمال تدل على الإقرار بعقائد غير المسلمين؛ أو بتمجيد شعائرهم أو التشبه بهم، وبأحوالهم أو أداء طقوسهم الدينية.
- أعمال أجمع المسلمون على أنها لا تصدر إلا من كافر؛ كامتهان القرآن الكريم أو تمزيقه، وكذلك مجالسة الكفار المستهزين بآيات الله؛ لأن هذا يعدُّ رضا بما هم عليه من كفر؛ **قال تعالى:** ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤٠.

■ الولاء والبراء من لوازم الإيمان:

لما كان أصل الولاء الحبِّ والنصرة، ومنه محبة الله ورسوله والمؤمنين، ومناصرتهم بالنفس والمال واللسان، وأصل البراء البغض والمعاداة، ومنه بغض الكفار ومعاداتهم وما هم عليه، فواجب المسلم أن يتولى الله ورسوله والمؤمنين، ويتبرأ من الكفار ولا يتولاهاهم أو يناصرهم؛ **لقوله تعالى:** ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران: ٢٨.

فمواالاة الكفار والتقرب إليهم ومناصرتهم ومحبتهم وإظهار الودِّ لهم بالأقوال أو الأفعال أو النوايا تُعدُّ من نواقض الإيمان.

من صور مواالاة الكفار:

- الرضا بكفرهم وعدم تكفيرهم أو الشكِّ في كفرهم، واتخاذهم أعاوناً وأنصاراً وأولياء، أو التشبه بهم فيما هو من خصائصهم ومعتقداتهم؛ **لقوله ﷺ:** «من تشبَّه بقوم فهو منهم»^(١).
- مدحهم والدفاع عنهم، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين؛ **قال تعالى:** ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ١١٨.

■ موانع التكفير:

موانع التفكير: هي الضوابط التي بوجودها ينتفي الكفر، وبانتفائها ينتفي الإيمان.

ومن موانع التكفير:

- الإكراه: فقد يُكره المرء على قول أو عمل مكفّر دون أن يعتقد الكفر، ففي هذه الحالة يُعدُّ

١ رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث رقم ٤٠٣٣.

الإكراه مانعاً من موانع الكفر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: ١٠٦ .

والمعلوم أن الإكراه لا يكون إلا على الفعل أو القول، أما الاعتقاد فلا يدخله الإكراه؛ لأن محله القلب؛ إذ لا سلطان لأحد عليه .

- الجهل بعقائد الدين وأحكامه، فمن كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية أو مكان بعيد عن أهل العلم، فإنه يعذر بجهله في كثير من الأحكام الظاهرة الثابتة بالواجبات أو المحرمات أو أصول العقائد، ولا يُعَدُّ ما صدر عنه ناقضاً من نواقض الإيمان، فلا يحكم بكفره لجهله بعقائد الدين وأحكامه؛ لأن الجهل من موانع التكفير .

■ خطورة التكفير من غير دليل:

وهذه الضوابط توجب علينا عدم التسرع في تكفير مَنْ يصدر عنه ناقض من نواقض الإيمان، فلا تجوز الشهادة على إنسان بالكفر، إلا ببرهان قطعي، لا لمجرد أن صدر عنه ما يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان؛ لاحتمال أن يلحقه مانع من موانع التكفير .

فعلى المسلم أن يتجنب إطلاق لفظ الكفر على غيره من المسلمين، وقد حذر منه العلماء بدليل قول النبي ﷺ: «إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدَهُمَا»^(١)، ولا يُحْمَلُ معنى الحديث على ظاهره إلا فيمن استحل ذلك أو اعتقده؛ لأنَّ هذا يعتبر من المعاصي، وقد يؤوّل ذلك به إلى الكفر، والمعاصي بريد الكفر، ويخاف على المُكثِرِ منها أن تكون عاقبة شؤمها المصير إليه، وليترك المسلم قضايا التكفير للعلماء الذين هم أعلم منه بنواقض الإيمان، وما يتصل بها من ضوابط، وما يترتب عليها من أحكام .

نشاط:

أرجع إلى كتاب (في أسباب النزول)، وأذكر سبب نزول الآية (١٠٦) من سورة النحل .

١ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه يا كافر .

١ أضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ واحدة من الآتية من نواقض الإيمان :

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| ١ شرب الخمر حال الإكراه . | ٢ شرب الخمر مع الجهل بحرمتها . |
| ٣ شرب الخمر مع إنكار حرمتها . | ٤ شرب الخمر مع الإقرار بحرمتها . |

ب نواقض الإيمان التي لا يدخلها الإكراه :

- | | |
|---------------------|------------------------|
| ١ النواقض العملية . | ٢ النواقض الاعتقادية . |
| ٣ النواقض القولية . | ٤ النواقض جميعها . |

ج يُعدُّ منكر الجنة أو النار :

- | | |
|------------|------------|
| ١ كافراً . | ٢ فاسقاً . |
| ٣ مؤمناً . | ٤ فاسداً . |

٢ أعرّف الآتية :

■ نواقض الإيمان القولية ■ الولاء ■ البراء ■ موانع التكفير

٣ أعلل : لا يجوز التسرع في الحكم على مَنْ صدر عنه ناقض إيماني بالكفر .

٤ الجهل بأحكام الدين وعقائده من موانع التكفير . أوضّح ذلك ، مع الدليل .

٥ أبين المعنى المستفاد من قوله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

الوحدة

٦

الإيمان بالله تعالى

إن الناظر إلى ما في الكون والحياة والإنسان من عناية وإتقان، وإلى ما يحتكم إليه من قوانين وسنن؛ ليقن أن وراء هذا الوجود قوة عظمى، وأن هذه القوة هي الموجدة له والمهيمنة عليه، وأنه لا بُدَّ لهذا الكون من خالق، وهو - وحده - المتصرف، وقد منحه هذا التدبير والتنظيم والعناية والإتقان. وحتى يسهل الله تعالى للإنسان طريق الهداية والإيمان منحه العقل، ومن ثمَّ خاطبه الله بالحجج والبراهين، وبث في الكون الفسيح آيات وشواهد؛ ليستدلَّ بها على وجوده سبحانه وتعالى.

■ الأدلة العقلية:

- مفهوم الدليل العقلي: هو كلُّ حجة، أو برهان جاء به العقل من عنده؛ لإثبات حقيقة معينة. والأدلة العقلية على وجود الله تعالى كثيرة بحيث لا تدع لباحث منصف أن ينكرها أو يتنكر لها، ومنها:

■ أولاً: دليل الخلق:

دعا الله - سبحانه - العقل إلى إدراك حقيقة وجوده - جلَّ وعلا - من خلال الخلق الذي هو فعل من أفعاله لا يقدر عليه أحد سواه؛ **قال تعالى:** ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا الْأَسْمَانَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يوقنون ﴿٣٦﴾ الطور: ٣٥ - ٣٦.

فالذين ينكرون وجود الله - سبحانه وتعالى - لا بُدَّ أن يسألوا أنفسهم: أخلقوا من غير خالق؟ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؟.

وعندها لا يستطيع أحد الإدعاء بأنه مخلوق من غير خالق، ولا أنه خلق نفسه بنفسه، فلا تبقى والحال هذه إلا حقيقة واحدة، وهي الإقرار بوجود الخالق جلَّ وعلا.

ومن هنا فقد تحدى - سبحانه - البشر، وغيرهم أن يقوموا بالخلق، مهما صَغُر شأن المخلوق؛ **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستمعوا له إِنَّ الَّذِينَ تدعون من دون الله لَن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴿٧٣﴾ الحج: ٧٣، وأمام عجز الإنسان عن الخلق، لا بُدَّ من الإقرار بأن الخلق قد صدر عن خالق، وهو الله تعالى، ولهذا كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم **قوله تعالى:** ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿١﴾ العلق: ١.

■ ثانياً: دليل العناية:

ويقوم على قاعدة عامة: أنه لا مجال في الكون للعبث والباطل، بل الكون كله قائم على أساس النظام والإحكام؛ **قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْتٍ ۖ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **الدخان: ٣٨ - ٣٩**، فـدليل العناية يعتمد على النظر العقلي في نظام الأشياء، حتى يتبين العقل كمال العناية، والحكمة من ورائه، فيتوصل من خلال ذلك كله إلى حقيقة وجود الله، وإبطال ما يلحد به المبطلون، الذين ينسبون الخلق للصدفة، أو الطبيعة الصماء، فمن خلال التباين والتنوع والاختلاف في الأشياء والأجسام والأحوال، لا بُدَّ أن يكون وراء ذلك فاعلٌ قاصدٌ مريدٌ، ومثاله: مشهد من المشاهد التي قد يغفل عنها العقل: الأرض واحدة، والماء واحد، إلا أن الثمار مختلفة اللون، والطعم، والرائحة؛ **قال تعالى:** ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَافِ فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَنْ تَعْيِدَ بِكُمْ وَيَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ **لقمان: ١٠**.

نشاط:

أمثل على دليل العناية، مما أشاهده في هذا الكون.

■ ثالثاً: دليل الإتيان:

إنَّ المرء يستدلُّ من خلال ما يراه، أو يشاهده من أشياء مصنوعة بإتقان على عظمة الصانع، ومن هنا كان دليل الإتيان من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما نشاهده في أنفسنا من آيات دالة على إتقان صنع الله؛ **قال تعالى:** ﴿سَرَّيْهِمْ أَئِنَّا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ **فصلت: ٥٣** ومن خلال ما نشاهده في الكون من حولنا؛ كالنجوم والكواكب، وما في السماء من عالم الفلك، وفي عالم الحيوان بأنواعه المختلفة، وأشكاله، وطرق عيشه في البرِّ والبحر والأرض سهولها وهضابها وجبالها وبحارها؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **البقرة: ١٦٤**، فلا بُدَّ من خالق أبداع هذه العوالم، ولا يمكن أن يكون هذا الإتيان من صنع طبيعة صماء مسيرة، لا تقدر على شيء، بل عاجزة، ومحتاجة للسنن والقوانين التي تحكمها، فنستدلُّ بهذا كله على وجود الله تعالى الذي أبداع كل شيء؛ **قال تعالى:** ﴿وَرَوَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ **النمل: ٨٨**.

والمندبر لآيات القرآن الكريم يجد آيات كثيرة تخاطب العقل للوصول إلى حقيقة وجود الله تعالى ، وحتى يقيم -سبحانه- الحجّة على عباده لم يترك قضية الاستدلال على وجوده للعقل وحده، بل دعم ذلك بأدلة أخرى نقلية وفطرية، وهذا ما سنتناوله في الدرس القادم .

التقويم

- ١ ما المقصود بالدليل العقليّ؟
- ٢ أيبّن كيفية إثبات وجود الله تعالى من خلال دليل الخلق؟
- ٣ دليل الإتيان في الكون من الأدلة الدالة على وجود الله تعالى ، أشرح ذلك مع الدليل؟
- ٤ أيبّن المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ .



بعد أن عرفنا بعض الأدلة العقلية على وجود الله تعالى ، سنتعرف في هذا الدرس على الأدلة الفطرية التي أودعها الله تعالى في النفس البشرية، والأدلة النقلية التي أنزلها الله تعالى وخاطب بها عباده ؛ لتكون حججاً ، وبراهين على وجود الله سبحانه .

■ الأدلة الفطرية:

- الفطرة لغة: الخلق، والفطر: الشق، والابتداء، قال ابن عباس رضي الله عنه: ما كنت أدري ما (فطر) السماوات)؟، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي ابتدأتها.
 - اصطلاحاً: هي ملة الإسلام التي خلق الله الإنسان عليها، حيث يولد سالماً من الكفر والإلحاد؛
- قال تعالى:** ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **الروم: ٣٠**

وأصل هذه الفطرة هو العهد الذي أخذه الله على بني آدم، وهم في عالم الذر؛ **فقال تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ **الأعراف: ١٧٢** .

وما دامت قلوب البشرية مؤهلة للدين الحق، وقبوله، وهو ما طبعت عليه النفوس، فمن أين جاءت لوثة الكفر والإلحاد والتنكر لوجود الخالق جلّ وعلا؟، والجواب على ذلك: أن فساد الفطرة آتٍ من المؤثرات الخارجة عن النفس؛ كتأثير الوالدين، أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان، أو ما يسيطر عليه من شهوات وغرائز؛ **قال الرسول ﷺ:** «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١)، وفي رواية أخرى: «إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه»^(٢).

ومن ملوثات الفطرة طاعة الشيطان والاستجابة له بعد تحذير الله عباده من اتباع خطواته، ففي الحديث القدسي: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(٣).

١ رواه البخاري، كتاب الجنائز / باب ما قيل في أولاد المشركين .

٢ رواه مسلم، كتاب القدر / باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين .

٣ رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها / باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

■ الاستدلال على وجود الله بطريق الفطرة:

كما بيّنا آنفاً، فإنّ الإنسان مفطور على ملة الحقّ، وهي الإسلام، وإن لم يستطع إقامة الدليل على ذلك، ومع ذلك فهناك الكثير من الأدلة الفطرية الموجبة للإقرار بوجود الخالق جلّ وعلا، منها:

■ أولاً: الشعور الفطريّ بوجود الله:

وهذا الشعور بوجود الخالق منغرس في أعماق النفس البشريّة، فهو يؤمن به إيماناً عميقاً، ولا يمكن له إنكاره، أو تجاهله، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: أنّ الإنسان يقرّ في أعماقه بوجود قوة يلجأ إليها، وخاصة في أوقات الشدّة والضيّق، عندما ينقطع الرجاء ممّن حوله من الخلق، وهذه القوة وحدها القادرة على إنقاذه ممّا هو فيه، وبلا شكّ فهذه القوة هي الخالق الواحد الأحد، إنّه الله جلّ وعلا. **قال تعالى:**

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ **يونس: ١٢.**

نشاط:

أرجع إلى الآيتين (٢٢-٢٣) من سورة يونس، وأتبيّن من خلالهما دلالة الفطرة على الله تعالى.

■ ثانياً: دلالة الهداية:

لقد خلق الله تعالى المخلوقات، وأودع فيها ما يرشدها إلى وظيفتها وما فيه صلاحها، وصلاح أمرها، ونرى هذا جلياً في الإنسان والطير والحيوان وغيرها من المخلوقات، وهذه الهداية الفطرية مكنونة في أعماق النفوس، وعلى اختلاف تنوعها؛ **قال تعالى:** ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ﴿ طه: ٤٩-٥٠ والشواهد على ذلك كثيرة، منها: العوالم جميعها وطرق عيشها، والنمل والنحل والطير والزواحف والإنسان، فالإنسان ساعة ولادته، ممّن هداه إلى ثدي أمه يلتقمه ويرضع منه؟، أليس هو الله تعالى؟ والجواب على ذلك: بلى، إنّه الله تعالى.

ومع ذلك، فقد تنحرف النفس البشريّة، وتفسد الفطرة نتيجة للغرائز والشهوات، وتعمى القلوب، وعندها فإنّ الله تعالى لا يترك عباده، بل لا بُدّ من تعريفهم حقيقة الخالق، وذلك بإرسال الرُّسل بالهدى، والبيّنات، وهذا هو الدليل النقلّي على وجود الله تعالى.

■ الأدلة النقلية:

- الدليل النقلية: كل حجة أو برهان أوحى به الله إلى الرُّسُلِ ﷺ ليبلغوه للناس، فقد أرسل الله تعالى الرُّسُلَ لهداية الناس، وتعريفهم بالله، وتبليغهم العقائد الصحيحة، والقضاء على الكفر والشرك والإلحاد؛ قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٥٦١.

وقد أيد الله - سبحانه - رسله بمعجزات دلت على صدقهم، وهذه المعجزات خارقة للقوانين والسنن الكونية؛ لأن السنن الكونية لا يمكن خرقها إلا بإرادة مَنْ وضعها، وهو الله - سبحانه -؛ فقد أجرى خرقها على يد أنبيائه ورسله؛ للتحدي بها.

■ من الأدلة النقلية:

أوحى الله تعالى إلى رسوله من الآيات القرآنية ما يرشد الإنسان إلى الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

- أتباع توجيهات الرسول في بيان حقيقة وجود الله والإيمان به؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿الأحزاب: ٥٤-٦٤.
- أتباع منهج الرسول في الإيمان بالله تعالى وما يتبع ذلك من حقائق الإيمان؛ قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ٥٨٢.
- التعريف بالله ووحدانيته؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٦١.
- إقامة الحجج والبراهين على وجود الله تعالى: وقد استخدم القرآن في ذلك الكثير من الأساليب؛ لإثبات وجود الله تعالى، منها ما يلفت الأنظار لما في الكون، ومنها: الحوار، ومنها: الجدل والمناظرة، وإيراد القصص القرآني، وضرب الأمثال، والتحدي وغيرها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَعَمَّا فَصَرَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ الرعد: ٦١.

وبعد هذا كله؛ فمن فسدت فطرته وضلَّ عقله ولم يستجب لنداء ربه، فإنَّ جهنم له مصير.

أقرأ وأستمع:

- يروى أنّ بعض الزنادقة أنكروا وجود الصانع (الله تعالى) عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقال له جعفر: هل ركبت البحر؟، قال الرجل: نعم. قال جعفر: هل رأيت أهواله؟، قال الرجل: بلى، هاجت يوماً رياح هائلة؛ فتكسرت السفينة، وغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج، حتى دُفعتُ إلى الساحل. قال جعفر: قد كان اعتمادك قبلُ على السفينة، والملاح، ثم على اللوح، حتى ينجيك، فلما ذهبت الأشياء عنك، هل أسلمت نفسك للهلاك؟، أم كنت ترجو السلامة بعد؟، قال الرجل: بل رجوت السلامة، قال جعفر: بمن كنت ترجوها؟، فسكت الرجل، فقال جعفر: إنّ الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي أنجأك من الغرق؛ فأسلم الرجل.
- ثعبان الماء: متى اكتمل نموه هاجر من مختلف البرك، والأنهار قاطعاً آلاف الأميال في المحيط، قاصداً إلى الأعماق السحيقة جنوب برمودا، حيث يلتقي ثعابين الماء من كل أنحاء العالم، وهناك بيض، ويموت، أما صغارها لا تملك وسيلة تتعرف بها على أي شيء سوى أنها في مياه فقيرة فتعود أدراجها، وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثم إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة، ولذا يظل كل جسم من الماء أهلاً بثعابين البحار، ولم يحدث قط أنّ صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوروبية أو العكس^(١).

التقويم

- ١ أعرف: الفطرة، الدليل النقلّي.
- ٢ من الأدلة الفطريّة على وجود الله تعالى الهداية، أشرح ذلك، مع مثال توضيحيّ؟
- ٣ أذكر دليلين من الأدلة النقلّيّة على وجود الله تعالى؟
- ٤ أيّ ما يدل عليه قوله ﷺ: (كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجسانّه).
- ٥ أعلل: أيّد الله تعالى الرُّسل بالمعجزات.
- ٦ أيّبن كيفية وصول لوثة الإلحاد والكفر إلى النفس البشريّة؟
- ٧ استخدم القرآن الكثير من الأساليب في إثبات وجود الله تعالى، أذكر ثلاثة منها؟

١ كتاب الله جل جلاله، سعيد حوى، ص ٧٦.

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله ربّ كلّ شيء ومليكه وخالقه، وهو وحده الذي يستحق أن يتفرد بجميع أنواع العبادة، وأنّ له الأسماء الحسنى، وأنه سبحانه المتصف بصفات الكمال كلها، والمنزه عن كلّ نقص، ولا يكون العبد مؤمناً بالله حتى يعتقد بأنّ الله ربّ كلّ شيء ولا ربّ سواه، وإله كلّ شيء، ولا إله غيره.

■ أنواع التوحيد:

يتضمن الإيمان بالله، وتوحيده ثلاثة أمور:

■ توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى ربّ كلّ شيء ولا ربّ سواه، والإقرار بأنّ الله -سبحانه- الخالق المالك المدبّر المحيي المميت؛ **قال تعالى:** ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ **الأعراف الآية ٤٥.**

■ أهمية هذا النوع:

لما كان الله هو الخالق المالك المدبّر فهو الجدير -وحده- بالتوجه إليه بالعبادة، والمستحق للحمد والشكر؛ **قال الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **البقرة: ٢١-٢٢.**

وهذا النوع من التوحيد يقرب به كثير من الناس، ولم يجحد إلا المادّيون، وقد بين القرآن الكريم ذلك في العديد من الآيات؛ **قال تعالى:** ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونَ﴾ **العنكبوت: ٦١.** ويفترض بمن يؤمن بربوبية الله تعالى أن يعبده وحده، ولا يشرك بعبادته، ومن أقر بربوبية الله تعالى ولم يوحد في ألوهيته وأشرك معه غيره في العبادة، لم ينفعه هذا النوع من التوحيد، ولا يخرج من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان؛ **لذلك قال الله تعالى:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ **يوسف: ١٠٦.**

■ توحيد الألوهية:

الألوهية من الإله، والإله هو المألوه؛ أي المعبود. فتوحيد الألوهية هو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الإله الحق ولا إله غيره، وهو - وحده - المستحق للعبادة ولا معبود بحق سواه.

نشاط:

أُسْمِي خَمْسَةً مِنْ صُورِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى .

■ أهمية هذا النوع:

هو أهم أنواع التوحيد، فلا يُقبل إيمان المرء إلا به، فمن أجله خلق الله الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وبهذا التوحيد يفرق بين المؤمن الحق، والمشرك، وعليه يقع الجزاء، والثواب، ومن أجله أرسلت الرُّسُل؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل ٣٦ .

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم، وأكتب ثلاث آيات فيها دعوة الرُّسُل إلى توحيد الألوهية.

لوازم توحيد الألوهية:

- يستلزم هذا النوع من التوحيد أن يتوجه إلى الله - وحده - بجميع أنواع العبادة، وأشكالها، ومن ذلك:
- وجوب إخلاص المحبة لله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥ .
- التحاكم لشرع الله تعالى، والرضا به، والتسليم له؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ .
- وجوب إفراد الله تعالى بالخوف والرجاء، فمن اعتقد أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها، وقدرتها، فخاف منها، فقد أشرك؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام: ١٧ .
- وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات؛ من صلاة ودعاء وتوكل وغيرها من صور العبادة؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

■ توحيد الله في الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد الجازم بأن لله - سبحانه - أسماء وصفات سَمِيَ بها نفسه ووصف بها ذاته، وردت في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة؛ **قال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **الأعراف ١٨٠.**

وقال رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللَّهَ وَتُرِيحُ الْوَتْرَ». وفي رواية «مَنْ أَحْصَاهَا»^(١).

أفكر:

تضمنت سورة الإخلاص أنواع التوحيد كلها.

لوازم توحيد الأسماء والصفات:

يستلزم توحيد الأسماء والصفات الأمور الآتية:

- أولاً: تنزيه الله عز وجل عن مشابهة الخلق في أسمائه وصفاته؛ **لقوله تعالى:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **الشورى ١١**؛ فتوحيد الله في أسمائه، وصفاته يستلزم من المؤمن أن ينزهه عن كل عيب، ونقص يعتري الخلق.
- ثانياً: الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تبديل ولا تكيف ولا نقص أو زيادة؛ فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يسمى إلا بما سَمِيَ به نفسه أو سمّاه به رسوله؛ لأن الله أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه.
- ثالثاً: دعاء الله بها، وهذا يشمل الشاء على الله، والطلب منه.

نشاط:

أذكر آية من القرآن الكريم اشتملت على أسماء لله تعالى.

١ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله، (ج ٨، ص ٦٣) ومعنى حفظها؛ أي أحصاها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها.

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () الناس جميعاً أقرؤا بتوحيد الربوبية .
- ب () الإقرار بتوحيد الربوبية يقتضي عبادة الله وحده .
- ج () معنى قوله تعالى في الآية : ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ؛ أي أشركوا معه غيره في العبادة .
- د () الجزاء ، والثواب يترتبان على توحيد الألوهية .
- هـ () دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جائز .
- و () يقتصر على الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات .
- ٢ أ أعرف : توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية .
- ب أستدلّ بآية من القرآن الكريم لكلّ مما يأتي :
- أ توحيد الربوبية .
- ب توحيد الألوهية .
- ج الاحتكام إلى شرع الله تعالى من مستلزمات توحيد الألوهية .
- ٣ أعلل : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .
- ٤ توحيد الأسماء والصفات يستلزم أمرين ، أبيتها .

الضلال: هو الانحراف عن الطريق المستقيم الذي شرعه الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٦-٧ وهو من أخطر ما يحيق بالإنسان في هذه الحياة. والضلال له أنواع كثيرة، من أخطرها الكفر والنفاق والإلحاد والشرك، وفيما يأتي بيان ذلك:

■ أولاً: الكفر:

- الكفر، لغة: الستر، والتغطية.
- واصطلاحاً: عدم الإيمان سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أم لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم به.

■ أنواع الكفر:

- ١ الكفر الاعتقادي (الحقيقي): وهو كل ما يُنقض الإيمان قولاً وعملاً، ويؤدي إلى إنكار ما عُلم من الدين بالضرورة؛ كإنكار فرضية الصلاة، ونحو ذلك، وهذا الكفر يُخرج من الملة، ويحرم من مغفرة الله ورضوانه، ويوجب الخلود في النار؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ العنكبوت: ٦٨.
- ٢ الكفر العملي (المجازي): هذا النوع من الكفر لا يُخرج من الملة، مثل: مَنْ يرتكب الكبائر والمعاصي ولا يتوب عنها، ودلّ عليه ﷺ بقوله: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(١)، وقوله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

■ ثانياً: النفاق:

- النفاق، لغة: مأخوذ من النفق في الأرض وهو الذي يستتر فيه، وسمي النفاق بذلك؛ لأنّ المنافق يستتر كفرة.
- والنفاق بمفهومه العام: إظهار المرء خلاف ما يبطن.
- أما مفهومه الشرعي الخاص: هو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.

١ رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ومسلم في الإيمان، باب قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

٢ رواه البخاري، كتاب العلم، باب الانصات للعلماء.

■ أنواع النفاق:

- النفاق الاعتقادي: وهو الذي يُظهر صاحبه الإيمان، ويخفي الكفر؛ **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ **البقرة: ٨**، وقد وصفهم الله - سبحانه - **بقوله:** ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **١٤٢** مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ **النساء: ١٤٢-١٤٣**، وهذا النوع من النفاق يُخلد صاحبه في النار؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ **النساء: ١٤٥**.

نشاط:

أرجع إلى المكتبة، وأكتب في دفترتي عن حركة النفاق: متى بدأت؟ وما أسبابها؟

- النفاق العملي: وهو من المعاصي التي يستحقّ صاحبها العذاب بقدر جرمته، ولكنه لا يُخرج من الملة، مثل: ما أشار إليهم الحديث الشريف: (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) ^(١) من حديث أبي هريرة، وفي حديث آخر: (إذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. **وقال الله تعالى في حقّ المنافقين:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِتَجَارِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ **البقرة: ١٦**.

■ ثالثاً: الإلحاد:

- الإلحاد، لغة: من لحدّ، بمعنى: مال، وزاغ، وحاد عن طريق، أو شيء ما، ويأتي بمعنى: المماراة والمجادلة، ومنه **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ **نصفت: ٤٠**؛ أي يمارون ويجادلون في صحة آيات الله تعالى، وصدقها.
- الإلحاد في الاصطلاح: هو الميل عن الإسلام والطعن فيه، واعتناق أفكار تنفي وجود الله تعالى، وتنفي أن يكون الكون والإنسان من خلق الله، وتدعى أن المادة أبدية ليس لها بداية ولا نهاية.

ولا سند للإلحاد، فلم يثبت من ناحية العقل، ولا من ناحية العلم أي دليل ينفي وجود الله، وكلّ ما ذكره الملحدون أوهام لا تستند إلى منطق سليم ولا علم مكين، وظاهرة الإلحاد ليست من مبتكرات هذا

١ رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق. ومسلم في الإيمان، بيان خصال المنافق.

العصر، وإنما هي قديمة عُرف أصحابها بالدهريين، وقد قاومها الأنبياء عبر الأجيال، والعصور؛ قال **تعالى** ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية: ٢٤ .

وفي العصر الحديث ظهر الإلحاد على شكل مذاهب فلسفية، أسسها فلاسفة غربيون؛ كالشيوعية، والوجودية، وغيرها. علماً أن العصر الحالي الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل، ظهر فيه علماء أعلنوا إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية، ومن أمثلة هؤلاء: العالم الفلكي الإنجليزي (هرتشل)، الذي قال: «كلما اتسع نطاق العلم، ازدادت البراهين الدافعة القوية على وجود خالق أزلي لا حدّ لقدرته ولا نهاية لوجوده».

وينطبق على الملحدين قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ محمد: ١٢ .

■ مخاطر الإلحاد:

وللإلحاد مخاطر كبيرة على الفرد والمجتمع، منها: فقدان القيم والمثل العليا، وغياب العدل، وعدم الشعور بالمسؤولية لدى الفرد، وانعدام الضوابط والموازن من حياة الفرد والمجتمعات، وانتشار الفاحشة والجرائم، وانتهاك الحرمات وتفكك الأسر، وانهيار المجتمعات وفسادها.

التقويم

- ١ أعرف الإلحاد لغة، واصطلاحاً.
- ٢ أستدلّ بآية أو حديث على كل من: النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي.
- ٣ أبين مخاطر الإلحاد على الفرد والمجتمع.
- ٤ أفرّق بين الكفر الحقيقي والكفر المجازي، مع التمثيل.
- ٥ أعلّل العبارة الآتية: (لا سند للإلحاد).

■ الشرك:

عرفت فيما سبق أنّ من سبل الضلال: الكفر والنفاق والإلحاد، وبقي نوع واحد منها؛ ألا، وهو: الشرك، وقد جاء الإسلام للقضاء عليه، وترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس.

فما الشرك؟، وما أنواعه؟، وما مظاهره؟

- الشرك: لغة: من الشريك، واشتركا، وتشاركا: شارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه أو عبادته.
- اصطلاحاً: كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه.

■ أنواع الشرك:

ينقسم الشرك إلى نوعين، هما:

أولاً: الشرك الأكبر (الجلي):

وهو أن يجعل العبد مع الله إلهاً آخر يساويه به أو يجعله شريكاً له أو يتخذة ندّاً^(١) لله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢، وعندما سئل النبي ﷺ عن أيّ الذنب أعظم؟، قال: «أن تجعل لله ندّاً، وهو خَلَقَكَ»^(٢).

حكمه: الشرك الأكبر ينقل صاحبه إلى الكفر.

■ من مظاهر الشرك:

■ الشرك في العبادة:

فالعبادة لا تكون إلا لله -وحده-، وصرّف أيّ شكل من أشكالها لغير الله؛ كالركوع أو السجود أو الذبح أو النذر يُعدُّ شركاً، وهو ما كان عليه العرب في الجاهلية؛ إذ كانوا يعبدون الأصنام، يتقربون بها إلى

١ الند: المثل، والنظير.

٢ متفق عليه؛ ومسلم، في كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده؛ والبخاري، كتاب التفسير - تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر: ٣
 فيبين أن العبادة لا تكون إلا لله - وحده-؛ فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢)
 لا شريك له. وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

■ السحر:

- السحر في اللغة: الصرف؛ لأن الساحر يصرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسمي سحراً؛ لأنه يتعلق بأمور خفية لا تدرك بالأبصار.
- واصطلاحاً: هو ألفاظ، ورموز وعقد^(١) وطلاسم^(٢) وكلام كفري، يتكلم به الساحر، يؤثر في المسحور؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ الفلق: ٤، وحقيقة السحر أنه لا يكون إلا في الشرك بالله؛ فالساحر يتقرب من الجن والشياطين بالطاعة والعبادة وعمل المكفّرات بجميع صورها، كي يعينوه على ما يفعلونه.

■ حكمه:

يحرّم تعلم السحر أو العمل به؛ لأنّ السحر لا يتم إلا بالألفاظ كفر، وشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنُ وَلَنِكَرَ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُونَ وَمَرْيَمَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢، وللسحر ضروب كثيرة، منها:

<p>١ التولة: وهي ما يعملها السحرة من أعمال يزعمون أنها تحبب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، وإنما كان ذلك من الشرك؛ لاعتقادهم أنها تؤثر، وأنها تجلب نفعاً أو تدفع ضرراً؛ قال ﷺ: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك)^(٣). والمقصود بالرقى في هذا الحديث، هي الرقى التي تتضمن ألفاظاً شركية.</p>	<p>١ التولة: وهي ما يعملها السحرة من أعمال يزعمون أنها تحبب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، وإنما كان ذلك من الشرك؛ لاعتقادهم أنها تؤثر، وأنها تجلب نفعاً أو تدفع ضرراً؛ قال ﷺ: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك)^(٣). والمقصود بالرقى في هذا الحديث، هي الرقى التي تتضمن ألفاظاً شركية.</p>
---	---

٢ الرقى: التعاويذ، ومفردتها رقية، وهي العوذة. والرقية: هي أدعية، وألفاظ يقصد منها الاستعانة والاستعاذة، بقصد دفع الضرر وجلب المنفعة. وهي نوعان:

١ العقد: أن يأخذ خيطاً؛ فيعقد عليه عقدة، ويتكلم عليه بالسحر، وفائدة العقدة بقاء السحر ما دامت معقودة.
 ٢ الطلاسم: رموز، وكتابات قد تكون بحروف متقطعة أحياناً، فيها استعانة بالجن والشياطين بألفاظ مشتملة على الكفر.
 ٣ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمايم.

- الرقى الشرعية: وهي كل رقية اشتملت على أدعية مأثورة، أو آيات من القرآن الكريم، أو ألفاظ مشروعة، فيها استعانة بالله تعالى في دفع الضرّ، أو جلب النفع.
- الرقى الشركية: وهي كل رقية اشتملت على كلام وألفاظ تتضمن الكفر أو الشرك أو استعانة بالشياطين.

٣ الكهانة والعِرافة والتنجيم: فالكهانة: ادّعاء معرفة الغيب بأيّ وجه كان. والعِرافة: ادّعاء معرفة علم ما سبق؛ كأن يدّعي معرفة السارق، أو مكان السرقة. والتنجيم: مأخوذ من النجم، والمراد به الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، فالمنجم يربط ما يقع في الأرض بالنجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها واقتنائها وتفرّقها؛ قال ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(١).

أفكر:

ليس كل علم ارتبط بالفلك يُعدّ من السحر.

■ صور الكهانة:

ويلحق بصور الكهانة: الخطّ في الأرض، وقراءة الكفّ أو الفنجان، ومنها البروج، وغيرها من الطرق التي يدّعي فيها معرفة الغيب، والتي لا تصدر إلا من مُدّع كذاب؛ لأنّ الغيب لا يعلمه إلا الله وحده؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥، وكلّ مَنْ يدّعي الغيب بأية صورة كانت يعتبر خارجاً من الملة.

■ حكم إتيان الكهّان والمنجمين والعرافين:

يحرم إتيان الكهّان والمنجمين والعرافين، ويعتبر ذلك من أكبر الكبائر؛ لقوله ﷺ: «مَنْ أتى عرافاً، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٢).

١ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم. ومعنى قوله اقتبس: تعلم، وقوله شعبة: قطعة، وقوله زاد ما زاد؛ أي كلما زاد من علم النجوم زاد له في الإثم.

٢ رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهّان.

ثانياً: الشرك الأصغر (الخفي):

هو كلّ معصية قد تكون وسيلة أو سبباً يؤدي إلى الشرك الأكبر؛ فالشرك الأصغر من مظانّ الانحدار إلى الشرك الأكبر، ومن هنا جاء تحريم كلّ صورته ومظاهره، إلا أنّ صاحبه لا يُحَكَّم عليه بالشرك المُخْرَج من المِلَّة، إلا إذا صدر منه ذلك عن اعتقاد.

ومن مظاهر الشرك الأصغر:

■ الرياء:

وهو إظهار العبادة لقصده رؤية الناس له؛ فيحمدوه عليها؛ **قال تعالى:** ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **النساء: ١٤٢، وقال ﷺ:** «إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟، قال: الرياء، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا، هل تجدون عندهم جزاء»^(١)، وعن أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).

■ الحلف بغير الله تعالى:

كأن يحلف المرء بأبيه أو أمه أو الأمانة أو الشرف أو الكعبة أو بالنبوي، وهذا كلّه حرام؛ **لقوله ﷺ:** «ألا إنّ الله - عزّ وجلّ - ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت»^(٣)، ومن حلف بغير الله فقد وقع في الشرك؛ **لقوله ﷺ:** «مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك»^(٤)، وهو من الشرك الأصغر؛ لأنّ الحالف إنّما أشرك في لفظ القَسَم لا غير، ولم يقصد تعظيم المحلوف به، أمّا إذا كان الحالف يقصد تعظيم المحلوف به؛ كتعظيمه لله، فهو شرك أكبر مُخْرَج من المِلَّة.

■ التمانم:

- لغة: مفردها تميمة، وهي خرزة كانت تعلق على الأطفال، يُتقون بها من العين ونحوها.
- اصطلاحاً: كلّ ما يُعلّق على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ؛ لدفع البلاء أو

١ رواه أحمد في مسنده، ج ٣٩٥، ص ٤٣، حديث رقم ٢٣٦٣٨٦.

٢ رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب مَنْ أشرك في عمله غير الله.

٣ متفق عليه؛ مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى؛ والبخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بأبائكم.

٤ رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء.

رفعه، وكل ما يعلقه الناس؛ كالخرزة الزرقاء أو الكفّ أو الحذاء وما شابه ذلك يُعدُّ من التمايم، وهي محرّمة، فإن اعتقد متخذها أنها تنفع بذاتها من دون الله، فهذا من الشرك الأكبر؛ قال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١). ويلحق بالتمايم الحُجُب والرقي التي يكتبها المشعوذون، إذ يجعلونها في طلاس لا يُفهم معناها، غالبها شرك واستعانة بالشياطين، وهذا من الشرك الأكبر؛ لاشتماله على الكفر.

نشاط:

أرجع إلى كتاب في العقيدة الإسلاميّة، وأستخرج منه صوراً أخرى من صور الشرك الأصغر.

الطيرة:

لغة: التشاؤم بالشيء، وأصل ذلك: أن العرب في الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو قضاء حاجة من حوائجه يعتمد على الطير، فإن طار يمينه تيمّن به، وإن طار يسره تشاءم به، ورجع؛ فأبطل الإسلام هذا الاعتقاد، مبيّناً أن لا علاقة للطير في دفع المضار أو جلب المنافع؛ لأن النفع والضّرّ بيد الله وحده؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١.

والتطيّر من الشرك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»، ثلاثاً^(٢)، والتطيّر عام لا يختص بالطير، فقد يتطيّر الإنسان من شيء يراه أو يسمعه، كأن يتطيّر من إنسان أو حيوان أو حادث يراه أو من كلمة يسمعها، فإن استدللّ من ذلك على أنه سيفشل أو سيصيبه مكروه، ثم رجع فهو التطيّر الذي نهى عنه ﷺ فقال: «من ردّته الطيرة من حاجة، فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»^(٣).

١ رواه أحمد في مسنده، ج ٢٨، ص ٦٣٧، حديث رقم ١٧٤٢٢.

٢ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب: في الطيرة.

٣ رواه أحمد في مسنده، ج ١١، ص ٦٢٣، حديث رقم ٧٠٤٥.

■ الفرق بين الطيرة والفأل:

إذا كانت الطيرة من الشاؤم بالشيء وهو أمر منهبي عنه؛ لأنه سوء ظنّ بالله تعالى، فإنّ التفاؤل-كأن يتفاءل المرء بشيء يسمعه مثلاً- هو أمر ممدوح شرعاً؛ لأنه من حُسن الظن بالله تعالى، ولذلك قال ﷺ: «لا طيرة، وخيرها الفأل، قيل: يا رسول الله!، وما الفأل؟، قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»^(١)، فإذا سمع المريض كلمة معافى، أو فاقد الشيء كلمة واجد مثلاً، تفاءل المريض بأنه سيتعافى، وفاقد الشيء بأنه سيجده، فإنّ هذا التفاؤل ليس دليلاً على وقوع الشيء، كما يفعله المتطيّر، ولكنه رجاء الخير من الله تعالى.

هذه بعض صور الشرك الأكبر المُخرِج من الملة، وبعض من صور الشرك الأصغر، التي قد تقود إلى الشرك الأكبر حتى نحذر منها ونبيّن للناس ونحذر من الوقوع فيها، وخاصة أننا نشاهد الكثير من صور الشرك الأصغر في مجتمعاتنا، نتيجة للجهل الذي عليه الكثير من الناس بأحكام دينهم.

١ متفق عليه؛ ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة، والفأل، وما يكون فيه الشؤم؛ والبخاري: كتاب الطب- باب الطيرة وباب الفأل.

- ٤ أعرف الآتية :
 ■ الشرك الأكبر ■ السحر ■ التولة ■ الطيرة ■ التمام ■ الرقى .
- ٥ أذكر فرقا واحداً بين كلِّ مما يأتي :
 أ ■ الشرك الأكبر والشرك الأصغر .
 ب ■ الرقية الشرعية والرقية الشركية .
 ج ■ الطيرة والفأل .
- ٦ أبين الحكم الشرعي فيما يأتي ، مع الدليل :
 أ ■ الحلف بالأمانة أو الشرف .
 ب ■ تحسين الصلاة أمام الناس .
 ج ■ قراءة الكف .
 د ■ تعليق حذاء على البيوت أو السيارات .
 هـ ■ إتيان الكهّان أو العرافين أو المنجمين .
- ٧ أبين المعنى المستفاد من النصوص الشرعية الآتية :
 أ ■ قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .
 ب ■ قال ﷺ : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .
- ٨ علّل ما يأتي :
 أ ■ يحرم تعلّم السحر أو العمل به .
 ب ■ نهى الإسلام عن التطير .

الوحدة

٣

الإيمان بالملائكة

قسّم القرآن الكريم العالم بالنسبة للمخلوقات إلى قسمين اثنين، هما:

- عالم الغيب .
- عالم الشهادة .

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر: ٢٢، فالغيب: كل أمر غائب عن مجال إدراكنا الحسي حسب العادة. والشهادة: كل أمر نستطيع أن نتوصل إليه بالوسائل الحسية حسب العادة.

والأمور الغيبية لا تستطيع حواس المخلوقات، ولا مداركها إدراكها، وقد تفرد الله بعلمها، واستأثر بها لنفسه؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥. ومن أمثلة الغيب: الملائكة والجن والشياطين وأشراط الساعة، ونعيم القبر وعذابه، والجنة والنار... ولا سبيل لمعرفة شيء من الغيبات إلا بالوحي، سواء أكان بقرآن أم بسنة صحيحة.

والإيمان بالغيب مما يتميز به المتقون الذين لا يتوقفون على التصديق بالمشاهد المحسوسة؛ **قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَعْيُنِنَا رُسُلَهُمْ لِيَخْبَرُوا أَتَى الْبَنِيَّانَ أَنَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ البقرة: ١-٣.

■ التعريف بالملائكة والإيمان بهم:

الملائكة جمع ملك، وأصله: ألك أرسل، ومنه اشتق الملائك؛ لأنهم رُسل الله إلى أنبيائه، وعالم الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهم نوع من مخلوقات الله تعالى خلقهم من نور، يعبدون الله حق العبادة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويقومون بما أمرهم الله تعالى حق قيام.

■ أدلة وجود الملائكة وحكم الإيمان بهم:

وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ فقد ورد في كتاب الله قوله **تعالى:** ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ لَكُمْ شَيْئًا أَن يَقُولَ إِنَّكُمْ بَرَاءَةٌ لِلَّهِ وَلِأَنْبِيَاءِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ البقرة: ٢٨٥.

وفي الحديث المشهور عن عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورأسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». (١)

والإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، ولا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف. ومن هنا فإن إنكار وجود الملائكة يُعدُّ كُفْراً بإجماع المسلمين، وبما نصَّ عليه القرآن العظيم؛ **قال تعالى:**

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٣٦.

■ مادة خلقهم:

لا نستطيع أن نعرف حقيقة الملائكة إلا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، فقد جاءت النصوص تحدد مادة خلقهم، وتبين صفاتهم؛ فقد صحَّ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وُصف لكم» (٢).

ولما كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أن الله لم يعط أبصارنا القدرة على رؤية هذا النوع من المخلوقات.

■ صفات الملائكة:

جاء وصف الملائكة في القرآن والسنة، وهذه بعض صفاتهم الخلقية والخلقية:

■ صفاتهم الخلقية:

- للملائكة أجنحة: فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة أو أكثر من ذلك، **قال تعالى في بيان ذلك:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.
- لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة: وقد أنكر الله على الذين وصفوهم بالأنوثة؛ **إذ قال:** ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف: ١٩.
- لا يأكلون ولا يشربون: وقد أخبر الله تعالى أن الملائكة أتوا إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، فقدم لهم طعاماً، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة، فكشفوا له عن حقيقتهم، فزال خوفه؛ **قال تعالى:** ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) **إذ دخلوا عليه فقالوا سلماً قال سلماً قوم منكرون** (٣٥)

١ مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله.
٢ مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.

فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ الذاريات : ٢٤ - ٢٧ .

- قادرون على التمثل والتشكل بالأشكال الجسمانية : فقد ثبت أن جبريل كان يأتي إلى مجلس رسول الله ﷺ تارة على صورة إنسان معروف ، وتارة على صورة إنسان غير معروف .
- لا يملون ولا يتعبون : إن الملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته ، وتنفيذ أوامره بلا كلل ولا ملل ؛ قال **تعالى** : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ﴿ الأنبياء : ٢٠ ؛ أي لا يضعفون .
- قدرتهم وعظم خلقهم : يوصف الملائكة بالخلق العظيم فقد جاء وصفهم في كتاب الله تعالى بأنهم غلاظ شداد ؛ فقال : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿ التحريم : ٦ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى جبريل على صورته الملائكية العظيمة الخلق مرتين ؛ فقال ﷺ : « رأيت منهبطاً من السماء ، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض »^(١) .

■ صفاتهم الخلقية

- كرام بررة : قال **تعالى** : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ ﴿ عبس : ١٥ - ١٦ ؛ أي بأيدي الملائكة ، وهؤلاء هم سفراء الله إلى رُسُلِهِ وأنبيائه ، وهم كرام بررة ؛ أي خلقهم كريم حسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارّة طاهرة كاملة .
- طاعتهم لله وامتثالهم لأوامره : وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يستكبرون عن عبادته ، ولا يتعبون فيها ، وأنهم يسبحون ربهم دائماً من غير انقطاع ؛ قال **تعالى** : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿ التحريم : ٦ ، وقال **تعالى** : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ﴿ الأنبياء : ١٩ - ٢٠ .
- استحياء الملائكة : من أخلاق الملائكة التي أخبر بها النبي ﷺ الحياء ؛ قال رسول الله ﷺ في وصف عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »^(٢) .

١ مسلم ، كتاب الإيمان ، معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ .

٢ مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان .

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () الناس جميعاً أقروا بتوحيد الربوبية .
- ب () للملائكة وظائف وأعمال أكلها الله لهم .
- ج () الملائكة مفطورون على الطاعة والعبادة .
- د () الحياء صفة من صفات الملائكة .
- هـ () خلقت الملائكة من مارج من نار .
- ٢ أذكر ثلاثاً من صفات الملائكة الخلقية .
- ٣ أذكر دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنة المشرفة على وجود الملائكة .
- ٤ أبين حكم مُنكر وجود الملائكة، مع الدليل .
- ٥ أعلل : يجب الإيمان بالمغيبات، كما وردت في القرآن والسنة، دون زيادة أو نقصان .

تحدثنا في الدرس السابق عن حقيقة الملائكة وأوصافهم، ويتركز الحديث في هذا الدرس حول الأعمال الموكلة إليهم، والآثار المترتبة على الإيمان بهم.

■ أعمال الملائكة:

أوكل الله تعالى إلى الملائكة القيام بأعمال عديدة منها:

- حمل العرش: **قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ غافر: ٧.
- النزول بالوحي: **قال تعالى:** ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٤، والروح الأمين هو جبريل عليه السلام، فهو الذي نزل بالوحي على جميع الأنبياء والرسل.
- خزنة الجنة والنار: سخر الله سبحانه وتعالى ملائكة للجنة وملائكة للنار، عرفهم بالخزنة؛ ومهمة خزنة الجنة الترحيب بأهل الجنة وإكرامهم؛ **قال تعالى:** ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر: ٣٧، وأما خزنة النار، فرئيسهم (مالك)؛ **قال تعالى:** ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ الزخرف: ٧٧، ومن مهامهم توبيخ أهل النار وتأنيبهم؛ **قال تعالى:** ﴿كُلَّمَا أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ الملك: ٨.
- كتابة الأعمال (الحسنات والسيئات): **قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الانفطار: ١٠-١٢.
- حفظ الإنسان من كل شر ما عدا الذي قدر عليه: أخبر الله تعالى أن للإنسان ملائكة يتناوبون حفظه من بين يديه ومن خلفه؛ **فقال عز وجل:** ﴿لَهُ، مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ١١.
- قبض الأرواح: **قال تعالى:** ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة: ١١.
- الاستغفار للمؤمنين في الدنيا: **يقول سبحانه وتعالى:** ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ غافر: ٧.

- تبشير المؤمنين بالجنة عند الموت: **يقول سبحانه وتعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ **فصلت: ٣٠.**
- الشفاعة لبعض المؤمنين يوم القيامة: **يقول سبحانه وتعالى:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشَفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ **الأنبياء: ٢٨.**
- تثبيت المؤمنين في مواجهة الأعداء في القتال: **قال تعالى:** ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ **الأنفال: ١٢.**
- تدبير أحوال الكون: فمنهم من يرسل الرياح ويسوق السحاب، ومنهم من يوكل له إنزال المطر؛ **قال تعالى:** ﴿وَأَلْمَسَتِ عُرْفًا ۝١ فَأَلْعَصَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا ۝٤ فَالْمَلَقَتِ ذِكْرًا﴾ **المرسلات: ١-٥.**

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب التفسير، وأكتب في دفثري معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات.

■ أثر الإيمان بالملائكة في حياة المؤمن:

- ١ الإيمان بالملائكة على الصورة التي بيّنتها النصوص الشرعية يجنب المؤمن الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب.
- ٢ الاستقامة على أمر الله عز وجل، فإن من يؤمن برقابة الملائكة لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يفعله ويتكلم به وكتابتهم له، فإنه يتجنب الوقوع في المعاصي في السر والعلن.
- ٣ الصبر وعدم اليأس، والشعور بالأنس والطمأنينة، وأنه ليس وحده في الطريق يواجه صدود الناس وإعراضهم عن الإيمان، فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد، وتشد من أزره وتدكره بالخير عند الله.
- ٤ الشجاعة والإقدام في مواجهة العدو، فالله مع كل مجاهد لا يتخلى عنه، وهو يؤيده بجنود من عنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ومعارك المسلمين في بدر والخندق شاهدة على ذلك.
- ٥ الحرص على طلب العلم وحضور مجالسه؛ **قال ﷺ:** «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»^(١).

١ أبو داود: كتاب العلم، باب في الحث على العلم.

ليس هناك تعارض بين ما تقوم به الملائكة من دور في حفظ هذا الكون، ووجود قوانين وسنن كونية تضبط هذا الوجود؛ فالقوانين والسنن الكونية هي من مخلوقات الله، والملائكة موكلة برعايتها.

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () من آثار الإيمان بالملائكة حماية المسلم من الوقوع في الخرافات والأوهام.
 - ب () الملك الموكل بالوحي هو إسرافيل عليه السلام.
 - ج () المعقبات هم الملائكة الموكلون بحفظ العبد في جميع حالاته.
 - د () تشجع الملائكة العبد على الطاعة.
- ٢ أعلل ما يأتي:
 - أ علم العبد بأن لله جنوداً من الملائكة، يدفعه إلى الصبر في ساحات الجهاد في سبيل الله.
 - ب الإيمان بالملائكة يحفظ العبد من الوقوع في الخرافات.
- ٣ أكتب الآية التي ذكرت اسم خازن النار.
- ٤ أيبّن علاقة الملائكة بالكون.
- ٥ أيبّن أثر الإيمان بالملائكة على المؤمن.

عالم الجن هو واحد من عالم الغيب الذي مرّ بيانه في الدرس السابق، والجنّ أو الجانّ هم أجسام عاقلة خفية، تغلب عليها النارية والهوائية. واحده جنّي، والأنثى جنّية، ويطلق على الإنس والجنّ مصطلح (الثقلين).

■ أصل خلق الجن:

لمّا كان هذا الخلق ضمن دائرة الغيب، فلا سبيل إلى معرفة شيء عنهم إلا بالخبر اليقيني، وقد ورد في مادة خلقهم قوله تعالى: ﴿وَحَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ الرحمن: ١٥؛ فالمارج: هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه.

وقال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُورِ﴾ الحجر: ٢٧؛ فنار السّموم هي النار المرتفعة الحرارة التي تنفذ حرارتها إلى الأجسام.

■ دليل الإيمان بالجن:

لقد ثبت وجود الجنّ بالدليل القطعيّ الذي لا احتمال فيه ولا شك، بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فقد أثبت القرآن الكريم وجود الجنّ في أكثر من آية كريمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ الذاريات: ٥٦، أمّا نصوص السنة النبوية الشريفة فكثيرة، منها: «إنّ عفريتاً^(١) من الجنّ تفلّتت البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه، فذكرت دعوة أخي سليمان: ربّ اغفر لي، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فرددته خاسئاً»^(٢).

■ حكم منكر الجن:

لمّا كان وجود هذه المخلوقات قد ثبت بالأدلة اليقينية من الكتاب والسنة، فإنّ إنكار وجودهم يُخرج من ملة الإسلام، والإيمان بهم إيمان إجماليّ، يتوقف على ما وردت به النصوص الشرعية.

١ العفريت: كلّ متمرد من إنس أو جانّ.

٢ صحيح البخاريّ: كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد. وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان.

■ صفات الجن:

من خلال استعراض النصوص الشرعية الواردة بشأن عالم الجن، نستطيع التعرف إلى بعض صفاتهم، وأهمها:

- ١ أنهم خلقوا من النار، كما سبق بيانه في أصل خلق الجن، وكما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: **قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم»**^(١).
- ٢ إن الغاية من خلقهم عبادة الله تعالى؛ **قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.**
- ٣ الجن عالم كُلف بعبادة الله تعالى كالبشر؛ كما جاء في **قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَهْدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾ (١٣) وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجن: ١٣-١٥.**
- ٤ الجن يتوالدون ويتناسلون ولهم ذرية؛ **قال تعالى: ﴿أَفَسَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.**

■ الفرق بين الملائكة والجن:

- إن الملائكة مخلوقة من النور، بينما الجن مخلوق من النار، كما ورد ذلك في الحديث الشريف السابق.
- إن الملائكة مخلوقة للطاعة، ولا استعداد عندهم للمعصية، بينما الجن عندهم الاستعداد للطاعة والمعصية.
- إن الملائكة ليست مكلفة تكليفاً إرادياً يترتب عليه الثواب والعقاب، بينما الجن مكلفون إرادياً، ويترتب عليهم الثواب والعقاب.
- إن الملائكة لا ذرية لهم، فلا يتزاوجون ولا يتناسلون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، بينما الجن يتزاوجون ويتناسلون، وفيهم الذكر والأنثى.
- إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بينما الجن يأكلون ويشربون.

١ صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () عالم الجنّ مخلوق قبل عالم الإنس .
- ب () دليل الإيمان بالجنّ دليل عقليّ .
- ج () لا عقاب على مَنْ ينكر الجنّ .
- د () الغاية من خلق الإنس والجنّ هي العبادة .
- ٢ أذكر ثلاثة من صفات الجنّ .
- ٣ أوضّح معنى كل من : المارج، نار السّموم، العفريت .
- ٤ أفرق بين الملائكة والجنّ، مقتصرًا على ثلاثة فروق .

إنّ عالم الإنس مختلف عن عالم الجنّ، وكلّ منهما قائم بذاته لا يحتاج إلى غيره، خلقهما الله سبحانه من أصلين مختلفين، وأودعهما أنظمة وسنناً لقيامهما بما خُلقا من أجله. ولتوضيح علاقة الإنسان بالجنّ لا بدّ من التأمل في الإنسان من ناحيتين:

■ الناحية الأولى: خلق الإنسان:

لقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الإنسان بالنظر في أصل خلقه، **فقال عز وجل:** ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق: ٥، وهذا النظر والتأمل يقود إلى حقائق ثلاث:

- الحقيقة الأولى: الإنسان أكرم المخلوقات باتفاق العلماء؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠.
- الحقيقة الثانية: إن أصل الإنسان من تراب، وهذا ما دلّت عليه النصوص الصريحة في كتاب الله؛ **فقال سبحانه وتعالى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الروم: ٢٠.
- الحقيقة الثالثة: خلق الإنسان منذ نشأته الأولى في أحسن تقويم؛ **فقال - عز وجل -:** ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين: ٤.

■ الناحية الثانية: الغاية من خلق الإنسان:

تتجلى الغاية من خلق الإنسان في العبادة لله - عزّ وجلّ -، بكل ما تشمله من أقوال أو أفعال ظاهرة أو باطنة، وهذه الغاية مشتركة بين عالم الإنس وعالم الجنّ؛ **قال سبحانه وتعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

والقيام بالعبادة يؤدي إلى تحقيق الإنسان خلافته في الأرض؛ **قال عز وجل:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

■ علاقة الإنسان بالجن:

من كل ما سبق يتبين لنا أن الجنّ عالم يعيش بيننا ومن حولنا وعلى أرضنا، وإن كانوا مختلفين عنا في أصل الخلقة، ونظام الحياة، وتربطينا بهم علاقات إيجابية وأخرى سلبية.

■ أما العلاقات الإيجابية فأهمها:

- أولاً: استماعهم للقرآن الكريم، وتأثرهم بما فيه وصولاً إلى الإيمان؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ الجن: ١-٢.
- ثانياً: حضورهم مجالس الذكر والعبادة وازدحامهم عليها، وبخاصة زمن الرسول ﷺ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ الجن: ١٩.
- ثالثاً: دعوتهم أقوامهم إلى الإيمان بالقرآن الكريم والاستجابة لدعوته؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ الأحقاف: ٢٩-٣١.

■ وأما العلاقات السلبية:

- فتمثل في جملة مفاهيم خاطئة وخرافات باطلة تعلقت في أذهان البعض، منها:
- أولاً: ادعاء علم الغيب للجن، إذ ينفي الحق سبحانه ذلك عنهم وعن غيرهم إلا من استثناهم الله سبحانه؛ قال عز وجل: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦١﴾ إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٢﴾﴾ الجن: ٢٦-٢٧، وفي حديث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ سبا: ١٤.
 - ثانياً: الاستعاذة بالجنّ وطلب العون منهم، وهذا مخالف لأصول عقيدتنا الإسلامية التي توجب الاستعاذة بالله سبحانه، وبطلان أي فهم مغاير؛ قال عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ الجن: ٦.
 - ثالثاً: اتباع السحرة لهم في خرافاتهم وأعمالهم الشريرة، اعتقاداً بأنّ للجنّ دوراً في تصريف

الأمور أو تحصيل النفع أو دفع الضر؛ **قال عز وجل:** ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢ .

- رابعاً: الخوف من هذه المخلوقات لدرجة الاستسلام لخرافاتهم وأباطيلهم، أو محاولة نسج أشكال مرعبة لهم أو أرواح شريرة تلاحق الإنسان، علماً أن خوف الإنسان ينبغي أن ينحصر من الله سبحانه؛ **قال عز وجل:** ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٥ .

التقويم

١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

- أ () كل آدمي مكرم في نظر الإسلام .
 ب () استقر الإنسان في أحسن تقويم بعد سنين من ولادته .
 ج () كان الجنّ يحضرون مجالس الرسول ﷺ لاستماع القرآن .

٢ أكمل العبارات الآتية:

- أ الغاية من خلق الإنسان هي
 ب أصل خلق الإنسان من
 ج يختلف عالم الجنّ عن عالم الإنس من ناحيتين:

٣ العلاقة بين الجنّ والإنس نوعان، أذكرهما .

٤ أذكر ثلاثة من العلاقات السلبية بين الجنّ والإنس .

الوحدة



الإيمان بالكتب السماوية

أنزل الله رُسُلَهُ لَهْدَايَةِ النَّاسِ، وقد أنزل معهم الكتب السماوية؛ لتكون مرجعاً لهم في الحكم بين الناس؛ **قال تعالى:** ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ﴾ البقرة: ٢١٣ .

وستتعرف في هذا الدرس إلى المقصود بالكتب السماوية، والحكمة من إنزالها، وما اتفقت عليه هذه الكتب وما اختلفت فيه، وحكم الإيمان بها.

■ المقصود بالكتاب:

- الكتاب: لغة: مصدر كَتَبَ، والكتاب مفرد، والجمع كتب، والكتاب: اسم لما كُتِبَ مجموعاً، وضمُّ بعضه إلى بعض، فإذا جمعت الحروف، وألّف بينها كانت كلمات ذات دلالة على معنى معين .
- والكتب السماوية: هي كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رُسُلِهِ ﷺ؛ ليلبغوه للناس .
- والكتب السماوية التي أنزلها سبحانه على رُسُلِهِ تشمل الصحف، والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي والكتابي، وبأية لغة كانت .

■ الحكمة من إنزال الكتب السماوية:

- أنزلت الكتب السماوية لحكم كثيرة، منها:
- هداية الناس إلى المنهج الحق، وحمایتهم من الزيغ والضلال .
- تأييد الرُّسُلِ، وإثبات صدقهم .
- قطع الحجة على الناس؛ **قال تعالى:** ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٦٥ .

■ ما اشتملت عليه الكتب السماوية:

- اشتملت الكتب السماوية على الكثير من القضايا، منها:
- أولاً: العقائد: فالعقائد ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، وجميع الكتب السماوية دعت إلى عقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد، ونبد الشرك والكفر والإلحاد .

- ثانياً: الإقرار بالعبودية لله وحده، وأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦.
- ثالثاً: تحقيق العدل؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد: ٢٥.
- رابعاً: الترغيب والترهيب، وبيان جزاء الأعمال؛ فالثواب للمحسن على إحسانه وطاعته، والعقاب للمسيء على إساءته.
- خامساً: الحث على فعل الخيرات والطاعات، واجتناب الشرور والمنكرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

■ ما اختلفت فيه الكتب السماوية:

- ومع أن الكتب السماوية مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، أوحى بها إلى أنبيائه، ورُسِّله ﷺ؛ إلا أنها اختلفت في بعض ما جاءت به، ومن ذلك:
- الشرائع: فكل نبي أرسل إلى قومه بشريعة خاصة بهم؛ قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨.
 - وقد تختلف الشريعة من نبي إلى آخر، إما بزيادة عليها أو نسخ لبعض الأحكام فيها؛ كأن نُحِلَّ بعض ما حرم الله أو تُحَرَّمَ بعض ما أحلَّ الله؛ فشريعة عيسى ﷺ تختلف عن شريعة موسى ﷺ في بعض ما أحلَّ الله وحرم على بني إسرائيل؛ قال تعالى على لسان عيسى ﷺ: ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ٥٠، وشريعة محمد ﷺ تختلف عن شرائع الأنبياء السابقين، وسبب هذا الاختلاف أن كل نبي من الأنبياء السابقين كان يُبعث لقومه خاصة دون غيرهم، فلا بد أن تحوي رسالته ما يتناسب وحالهم وزمانهم.

أَتَعْلَمُ:

شريعة الإسلام لا تتغير ولا تتبدل؛ لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وقد جعلها الله تعالى خاتمة الشرائع السماوية، فلا نبي بعد محمد ﷺ.

- صور العبادات وكيفية أدائها: فالأنبياء جميعهم دُعوا إلى عبادة الله وحده، إلا أن صور هذه العبادة وكيفية أدائها وأوقاتها وبعض التفاصيل المتعلقة بها تختلف من نبي لآخر؛ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الحج: ٣٤.

- الخصوص والعموم: فالكتب السماوية السابقة أنزلت على أقوام معينين؛ لتكون لهم دون غيرهم من الأمم، بينما أنزل القرآن الكريم للناس كافة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا: ٨٢].

■ حكم الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية هو الركن الثالث من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان المرء إلا به، ومن أنكر كتاباً من هذه الكتب، فهو كافر خارج من ملة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله ﷺ، عندما سأله جبريل ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

■ والإيمان بالكتب السماوية يكون على النحو الآتي:

- الإيمان الإجمالي: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رُسُلِهِ كتباً من السماء، مما لم يذكر لنا القرآن أسماءها، أو أسماء مَنْ نزلت عليهم من الرُّسُلِ، وقد ورد ذكرها في القرآن مجملاً؛ قال تعالى: ﴿ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥].
- الإيمان التفصيلي: وهو الاعتقاد الجازم بكل كتاب أنزله الله تعالى على رُسُلِهِ، وذكر اسمه في القرآن الكريم، أو ذكر في السنة النبوية؛ كصحف إبراهيم ﷺ والتوراة والزيبور والإنجيل والقرآن الكريم، وأنها منزلة من عند الله تعالى.

التقويم

- ١ أعرف: الكتاب السماوي.
- ٢ ما الحكمة من إنزال الكتب السماوية؟
- ٣ اتفقت الكتب السماوية على كثير من القضايا، أذكر ثلاثاً منها؟
- ٤ ما حكم الإيمان بالكتب السماوية، مع الدليل؟
- ٥ كيف يكون الإيمان بالكتب السماوية؟
- ٦ أستدل بآية من القرآن الكريم على اختلاف الشرائع في الكتب السماوية.
- ٧ أعلل: شريعة الإسلام لا تتغير ولا تتبدل.

١ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعرفة الكتب السماوية السابقة التي أنزلها الله تعالى على رُسُلِهِ؛ لأنه الكتاب الوحيد الخالد الذي لم ولن يطاله التحريف والتغيير، فقد تكفل الله سبحانه بحفظه، وقد بين الله سبحانه في القرآن الكريم الكتب التي أنزلها على رُسُلِهِ، وأنّ هذه الكتب قد سبق نزولها نزول القرآن الكريم، والواجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب مرتبة حسب نزولها.

ومع أنّ هذه الكتب قد دخلها التحريف والتبديل - كما سنبيّنه في الدروس القادمة -، إلا أننا سنتعرّف عليها، ونتبيّن بعضاً ممّا ورد فيها، وعلى من نزلت.

■ أولاً: صحف إبراهيم عليه السلام:

الصُّحُفُ لغة: جمع صحيفة، وهي التي يكتب فيها، ويراد بها الكتاب.

اصطلاحاً: ما أنزله الله تعالى على سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكرت هذه الصحف في القرآن الكريم، منها **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨)﴾

صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ الأُعلى: ١٨ - ١٩ .

ومما اشتملت عليه هذه الصحف:

- بيان حال الإنسان، واستعجاله الخير، وإيثاره العاجلة (الدنيا) على الآجلة (الآخرة).
- الفلاح في الآخرة لمن طهّر نفسه من الرذيلة، وأدى ما عليه من صلاة، وآتى الزكاة، وذكر الله تعالى؛ ودليل ذلك: **قوله تعالى**: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ الأُعلى: ١٤-١٩ .

- يحاسب المرء على أعماله في الآخرة، وعليها يترتب الثواب والعقاب، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، ولا يحمل أحد ذنب غيره؛ ودليله **قوله تعالى**: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُّحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَا نُزِرُ وَإِرَّةً وَزُرَّ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿ النجم: ٣٦-٤٠ .

■ ثانياً: التوراة:

التوراة: لفظ عبرانيّ معناه: التعاليم، أو الشريعة .
اصطلاحاً: هي الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى ﷺ، وتتضمن الصحف والألواح .
وقد ذكرت التوراة في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها **قوله تعالى**: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ **آل عمران: ٣-٤** .

■ ثالثاً: الزبور:

الزبور لغة: الكتاب .
اصطلاحاً: هو الكتاب الذي أنزل على سيدنا داود ﷺ .
ودليله من القرآن الكريم **قوله تعالى**: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ **النساء: ١٦٣** ، ومما ذكر في الزبور - كما أخبر القرآن الكريم - أن الله تعالى قد قضى بالنصر والتمكين في الأرض لعباده الصالحين؛ **فقال تعالى**: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ **الأنبياء: ١٠٥** .

■ رابعاً: الإنجيل:

الإنجيل: لفظ يونانيّ معناه البشرى .
اصطلاحاً: هو الكتاب الذي أنزل على سيدنا عيسى ﷺ . وقد ذكر الإنجيل في القرآن في آيات كثيرة، منها **قوله تعالى**: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ **المائدة: ٤٦** .

ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل من أحكام:

لقد بين لنا القرآن الكريم جانباً مما تناولته التوراة والإنجيل، منها:

- البشارة بمحمد ﷺ، وذكر بعض صفاته وصفاته أصحابه؛ **قال تعالى**: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ **الأعراف: ١٥٧** .
- الحث على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال؛ **قال تعالى**: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ يُقْنِلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ بَلَاغَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ﴾ **التوبة: ١١١** .

نشاط:

أستخلص صفات أتباع محمد ﷺ المذكورة في التوراة والإنجيل من خلال قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَفَازَهُ فَاستَغْلَطَ فَاستَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩ .

هذا بعض ما أخبر به القرآن الكريم مما أنزله الله في الكتب السماوية السابقة، إلا أن هذه الكتب التي صدقها القرآن إنما هي الأصول التي أنزلها الله على رُسُلِهِ إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، أما الكتب الحالية التي يتداولها أهل الكتاب فهي محرّفة .

أتعلم:

كُتِبَ أهل الكتاب (اليهود والنصارى) التي بين أيديهم الآن تتكون من:

■ العهد القديم: وهو الكتاب المقدس عند اليهود، وهو ثلاثة أقسام:

أولاً: التوراة: وتحوي خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين (الأخبار)، وسفر العدد، وسفر التثنية .

ثانياً: أسفار الأنبياء الأولين ورسالات الأنبياء الآخرين: وتتناول الحديث عن تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، ومن حَكَمَ من بعده من القضاة، ومن جاء بعد ذلك من الأنبياء، والسبي البابلي، وغيره .

ثالثاً: المكتوبات: وتتناول مزامير داود، وهي مجموعة من الأناشيد والترانيم الدينية، وأمثال سليمان: وهو سفر ينسب إلى سليمان، ومنها تاريخ أيوب، وغيرها .

■ العهد الجديد: وينقسم العهد الجديد عند النصارى إلى قسمين:

أولاً: الأسفار التاريخية: وهي الأناجيل الأربعة المعترف بها عند الكنيسة، وهي: (إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا)، وقد تم اختيارها من بين أكثر من سبعين إنجيلًا، بل أوصلها البعض إلى المئة، بينما لم تعترف الكنيسة بإنجيل برنابا، الذي يثبت أن عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وينكر ألوهيته وكونه ابن الله، وأنه لم يصلب بل رُفِعَ إلى السماء، ويشرح برسالة محمد ﷺ بالاسم الصريح .

ثانياً: الأسفار التعليمية: وتشمل اثنتين وعشرين رسالة، كُتبت جميعها باللغة اليونانية، أكثرها من (بولس)، مع أنه ليس من تلاميذ المسيح، وكان يهودياً اسمه (شاؤول)، ودخل في النصرانية، وسمي نفسه (بولس).
ومن المعروف أن النصارى يؤمنون بالعهد القديم، كما يؤمنون بالعهد الجديد.

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
أ () الكتب السماوية السابقة التي يتداولها أهل الكتاب (اليهود والنصارى) محرّفة.
ب () التوراة لفظ عبرانيّ معناه البشارة.
ج () الزبور: هو الكتاب الذي أنزل على سليمان عليه السلام.
د () بشرت الكتب السماوية السابقة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٢ أرّتب الكتب السماوية حسب نزولها؟
- ٣ أذكر أمرين مما اشتملت عليه صحف إبراهيم عليه السلام.
- ٤ تناولت الكتب السماوية السابقة الحثّ على الجهاد بالنفس والمال، أذكر دليل ذلك؟
- ٥ أعلّل: القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعرفة الكتب السماوية السابقة.

لم يتكفل الله سبحانه بحفظ الكتب السماوية السابقة، كما تكفل بحفظ القرآن الكريم، بل وكل حفظها إلى الأحرار والرهبان؛ **قال الله تعالى:** ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ المائدة: ٤٤؛ لذا؛ كانت تلك الكتب عرضة للتحريف والضياع.

أفكر:

لماذا تعهد الله بحفظ القرآن الكريم، ولم يوكل حفظه للعلماء، بينما أوكل حفظ الكتب السماوية السابقة إلى الأحرار والرهبان؟

■ دخول التحريف إلى الكتب السماوية السابقة:

إنَّ التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام قد حُرِّفَتْ، ودخل عليها النقص والزيادة والتبديل؛ بسبب ضعف الوازع الديني واتباع الأهواء، وحب الدنيا وشهواتها لدى الأحرار، حتى قال (ول. ديورنت) في كتابه قصة الحضارة: «إنه لم يبق من شريعة موسى إلا الوصايا العشر».

أمَّا الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وسلّمه لتلاميذه، وأمرهم بالتبشير به، فإن الاضطهاد الذي واكب المسيحية في نشأتها من الرومان وبتحريض من اليهود، أدى إلى ضياعه وضياع كثير مما نقله الحواريون عن المسيح عليه السلام؛ مما أدى إلى ظهور أناجيل كثيرة.

وعندما دخل (بولس) اليهودي في دعوة المسيح، راح يزعم أنه الوحيد المؤمن على المسيحية الصحيحة وعلى الإنجيل، وبدأ يدخل عليها من العقائد الباطلة والفلسفات القديمة بقصد إفسادها. ومما ساعد على تحريف الإنجيل، كونه رسالة شفوية أملاها المسيح على تلاميذه سراً في ظروف الاضطهاد الروماني والدسائس اليهودية.

■ أدلة التحريف:

■ الأدلة من القرآن الكريم:

أخبرنا القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب كتاب ربهم، وكتمانهم لما أنزل الله من البينات، وتحريفهم الكلم عن مواضعه؛ **فقال تعالى:** ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٤٦، **وقال تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

• الأدلة على التحريف من الكتاب المقدس عندهم:

يقول كاتب مزمور (٥٦/٤-٥): «ماذا يصنع بي البشر! اليوم كلهم يحرفون كلامي»، وجاء في سفر أشعيا قوله موبخاً اليهود إياهم: «ويل للذين يتعمقون؛ ليكتنموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون من يبصرنا؟، يا لتحريفكم!».

■ نماذج من التحريف في التوراة:

لقد أدخل اليهود على التوراة ألواناً من التحريف: تبديلاً وزيادة ونقصاً وإخفاءً وتأويلاً، وافتروا على الله وعلى أنبيائه، وما من نبي من أنبيائهم إلا الصقوا به سلوكاً لا يليق بشخص عادي، فضلاً عن أنه يصدر عن نبي معصوم.

• ومن التحريف الذي أدخلوه على التوراة مما فيه افتراء على الله تعالى قولهم: «أن الله لما رأى فساد الآدميين في الأرض ندم على خلقهم، وقال سأذهب (الآدميين) الذين خلقت على الأرض، والخشخاش وطيور السماء؛ لأنني نادم على خلقها جداً»، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

• ومن افتراءاتهم على الله تعالى أيضاً: «أنه تعب بعد خلق السماوات والأرض وقالوا: إن الله استراح في اليوم السابع من خلق السماوات والأرض»؛ فأنزل الله تعالى تكذيبهم **بقوله:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ق: ٣٨؛ أي من تعب.

• ومن تحريفهم وصفهم الله تعالى بالفقر والبخل؛ **قال تعالى على لسانهم:** ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران: ١٨١، **وقال:** ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤.

• ومن تحريفهم وصفهم الله تعالى بالغفلة والنوم كما في قولهم في بعض صلواتهم: «انتبه، كم تنام يا رب، استيقظ من رقدتك»؛ فتجرؤوا على رب العالمين؛ كأنهم يخبرونه: أنه قد اختار الخمول لنفسه وأنه ينام، فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة: ٢٥٥.

• ومن تحريفهم قدحهم بالأنبياء الذين عصمهم الله تعالى؛ ومن ذلك طعنهم في نبي الله لوط: «بأنه شرب الخمر، حتى سكر، وزنى بابتتيه!»، وقولهم عن هارون: «أنه هو الذي صاغ لهم العجل!». .

■ نماذج من التحريف في الإنجيل:

- أما الإنجيل، فيحوي من التغيير والإضافة الشيء الكثير، ومن أعظم تحريفاتهم:
- ما يتعلق بتأليه المسيح، والزعم بأنه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، وقد ردّ عليهم القرآن مفصلاً زعمهم ومبيناً حقيقة التوحيد؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَّهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١١٦.
 - ما يتعلق بكتمان بعضهم البشارة بالنبي محمد ﷺ؛ التي أخبر الله بها في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصف: ٦، فجاء في الإنجيل على لسان عيسى ﷺ: «يأتي من بعدي الفارقيط»، وهذه كلمة يونانية معناها: (كثير الحمد)؛ وهذا مدلول صيغة التفضيل (أحمد)، وقد أبوا أن يترجموها في النسخة العربية، وأبقوها هكذا، حتى تبقى غير مفهومة، ولكيلا يعلم النبي الذي يأتي بعد المسيح.

■ الموقف من الكتب السماوية المحرفة:

قلنا إن تحريفاً كثيراً وقع في كتب اليهود والنصارى، ولا تزال في هذه الكتب بقايا من الوحي، إلا أننا لا يمكننا الاهتداء إليها ومعرفتها، فما ورد في هذه الكتب وثبتت صحته لدينا، فهذا نؤمن به ونصدقه، وما علمنا كذبه ومخالفته لما ثبت عندنا، فلا يجوز لنا أن نأخذ به، وأما المسكوت عنه- الذي لا تعرف صحته من كذبه- فلا نؤمن به، وفي ديننا ما يغني عن الرجوع إلى ذلك كله.

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () تكفل الله بحفظ الكتب السماوية كلها .
- ب () كان بولس رجلاً مسيحياً مؤتمناً على تعاليم المسيح .
- ج () أدلة تحريف الإنجيل هي في الإنجيل نفسه .
- د () (الفارقليط) كلمة يونانية تعني (كثير الحمد) ظهرت ترجمتها في النسخة العربية للإنجيل .
- ٢ ما مصدر عقيدة النصارى في قولهم ببنوة المسيح لله تعالى ، مع ذكر الدليل؟
- ٣ أذكر عاملاً واحداً من عوامل تحريف الإنجيل .
- ٤ كيف طعن أهل الكتاب بالأنبياء؟
- ٥ أوضح الدليل من القرآن الكريم على وقوع التحريف في الكتب السماوية السابقة .
- ٦ أدلّ بآية من القرآن الكريم على بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ .
- ٧ أمثل بصورة من صور التحريف في التوراة فيها الافتراء على الله تعالى .

مرّ معنا في الدرس السابق الحديث عن الكتب السماوية التي أنزلها الله على رُسله، وأنّ القرآن الكريم هو آخر هذه الكتب. ويمر معك في مبحث علوم القرآن الكريم تعريف القرآن وخصائصه، وفي هذا الدرس بيان لأدلة حفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل وحكم الإيمان به.

■ أدلة حفظ القرآن من التحريف والتبديل:

■ الأدلة النقلية، ومنها:

- ١ **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ **الحجر: ٩**، ومعنى الآية: أنّ الله قد تكفل بحفظ القرآن من أن يزداد فيه، أو ينتقص منه.
- ٢ **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ **فصلت: ٤١-٤٢**، ومعناها: أنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع ذو كيد تغييره بكيده وتبديل شيء من معانيه عما هو، ولا إلحاق ما ليس منه فيه.
- ٣ **قوله تعالى:** ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَسَحِّلاً ﴾ **الكهف: ٢٧**، ومعناها: لا مبدل لكلماته؛ أي لا معيّر لها، ولا مبدل لمعانيها ومقاصدها.
- ٤ **قوله تعالى:** ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أُمَّةٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ **الحاقة: ٤٤-٤٧**، فالتهديد في هذه الآية جاء في حقّ رسول الله ﷺ، فكيف إذا سعى إلى ذلك غيره؟، ويفهم من هذه الآية: أنّه لا يستطيع أحد من البشر أن يزيد أو ينقص من كتاب الله شيئاً، ومنّ حاول مثل ذلك فالله له بالمرصاد.

■ الأدلة العقلية:

إنّ القرآن الكريم نقل إلينا من لدن الله ﷻ بالتواتر، فلا تزال كلماته وأحرفه بعينها محفوظة -إلى يومنا هذا- إلى قيام الساعة، والحفظة للقرآن الكريم في كلّ زمان ومكان لا حصر لهم.

ومن الأدلة العقلية كذلك ، أن حفظ القرآن هو حفظ لدعوة الرسول ﷺ ، ولرسالته ، فتبقى هذه الرسالة خالدة مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة ، خاصة وأن دعوته ﷺ هي دعوة عامة للناس كافة ؛ **قال تعالى :**

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **سبأ: ٢٨** ، فحفظ الله القرآن الكريم ؛ ليبقى حجةً لله على الناس ، خلافاً للكتب السماوية الأخرى التي كانت لأقوام معينة ، وموقوتة بزمن معين ، فدخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

■ حكم الإيمان بالقرآن الكريم:

تأكد لنا حفظ الله - عز وجل - للقرآن الكريم من كل تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقص ، ومن أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، فقد نقلت إلينا آياته بالتواتر القطعي الذي لا يترك عذراً لمرتاب ، لذلك يجب الإيمان بالقرآن إيماناً مطلقاً ، جملةً وتفصيلاً ، على أنه من عند الله تعالى ، ونؤمن بكل ما جاء فيه ، ومن ينكر شيئاً منه فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام .

التقويم:

- ١ أذكر دليلين من الأدلة الشرعية على حفظ القرآن من التحريف .
- ٢ أوضح الدليل العقلي على حفظ القرآن الكريم من التحريف؟
- ٣ أيبن حكم من ينكر آية واحدة من القرآن الكريم؟
- ٤ أستخلص المعنى المستفاد من **قوله تعالى :** ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ **الحاقة: ٤٤-٤٧** .

الوحدة



الإيمان بالأنبياء والرسل

إنَّ الإيمان بالأنبياء والرُّسل ﷺ هو الركن الرابع من أركان الإيمان التي لا يصحَّ إيمان المرء إلا بها جميعاً، فهو يأتي بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه، وستتعرف في هذا الدرس إلى مفهوم النبيِّ والرسول، والفرق بين النبوة والرسالة، وأدلة إثباتهما، وعدد الرُّسل والأنبياء، ومَنْ ذُكر منهم في القرآن الكريم، وحكم الإيمان بهم جميعاً.

■ مفهوم النبيِّ والرسول:

النبيُّ: عبد اصطفاه الله تعالى بالوحي إليه، ولم يؤمر بالتبليغ.
الرسول: نبيٍّ أوحى إليه بشرع، وأمر بتبليغه.

■ الفرق بين النبوة والرسالة:

من خلال التعريف لمعنى النبيِّ والرسول، تبيَّن لنا أنَّهما لفظان متغايران؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا...﴾ الحج: ٥٢، ففي هذه الآية جاء لفظ (نبيٍّ) المتضمن معنى النبوة معطوفاً على لفظ (رسول) المتضمن معنى الرسالة، وهو دليل على التغاير بينهما؛ لأنَّ المعطوف غير المعطوف عليه.

فمن السنة حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عندما علّمه النبيُّ ﷺ الدعاء الذي يدعو به إذا جاء مضجعه، وقد ذُكر فيه: (. . . اللهمَّ أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّك الذي أرسلت)، فقال: ^(١) «فرددتها قلت: أمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك، قال: لا، ونبئك الذي أرسلت» ^(٢)، ومما سبق نتبيَّن أنَّ هناك فروقاً بين النبوة والرسالة، ومن هذه الفروق:

١ كلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كلَّ نبيٍّ رسولاً: فكلاهما جاءه الخبر (الوحي) من عند الله تعالى، إلا أنَّ الرسول أمر بالتبليغ، بينما النبيُّ لم يؤمر بالتبليغ، ولكن لم يُنه عنه.

١ القائل هو الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه.

٢ متفق عليه، واللفظ للبخاري في كتاب الوضوء، باب فضل مَنْ بات على الوضوء. وينظر عند مسلم في كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

٢ بينهما خصوص وعموم: فالرسالة أعم من النبوة؛ لأن النبوة جزء من الرسالة، أما من حيث المقام، فمقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ لأن عدد الرُّسل أقل من عدد الأنبياء، فقد حُصَّ بالرسالة القليل منهم.

٣ الرسول يأتي بشريعة جديدة (الكتاب السماوي)، بينما النبي يطبق شريعة من سبقه.

نشاط:

أرجع إلى أحد المعاجم اللغوية، واستخرج المعنى اللغوي لكلمتي النبي والرسول.

■ أدلة إثبات النبوة والرسالة:

لقد ثبتت النبوة والرسالة بالأدلة النقلية والعقلية، وسنذكر بعض الأدلة النقلية، ثم نفصل الدليل العقلي، على النحو الآتي:

■ أولاً: الأدلة النقلية:

بعث الله الأنبياء والرُّسل في كل أمة من الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦، وقد تواترت الأخبار بذلك عند جميع الأمم، ما لا يدع مجالاً للشك؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤، وقد تعاقب إرسال الرُّسل، كل يبعث إلى قومه خاصة، حتى بعث آخر الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ للناس كافة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون: ٤٤، وقال ﷺ: «... وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة...»^(١).

■ ثانياً: الأدلة العقلية:

إذا استدل الإنسان بالعقل والفطرة على وجود الله تعالى، وعرف أن مقتضيات الإيمان بالله تعالى إفراده سبحانه بالعبودية، فإن من المقتضيات التي ينبغي للعقل أن يسلم بها ضرورة، حاجة البشرية للرسول والرسالات؛ وذلك أن الله تعالى لا يترك عباده كي يتعرفوا إليه بالعقل والفطرة وحدهما، لما قد ينشأ عن ذلك من ضلال يقع فيه العقل أو فساد يؤثر في الفطرة؛ فتنحرف عن الحق، والعقل يعجز عن معرفة ما يطلب منه من عبادة وكيفية أدائها، وما هو مأمور به وما هو منهي عنه، فكان لا بُدَّ من إرسال الرُّسل؛

١ رواه البخاري، كتاب الصلاة، أبواب المساجد/ باب قوله ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً).

ليعرّفوا الناس بربهم وكيفية عبادته، وبما يأمرهم وينهاهم، فتقام عليهم الحجة، وعندها، يجازون على أعمالهم ويحاسبون على تفریطهم؛ **قال تعالى:** ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ **الإسراء: ١٥** .
ومن الأدلة العقلية أيضاً تأييد الله تعالى الرُّسل بالمعجزات الحسيّة، والمعنوية المقرونة بالتحدي، وفي ذلك أكبر دليل على كونهم مبعوثين من عند الله تعالى لعباده.
وما اتّصف به الأنبياء والمرسلون من صفات؛ كالصدق والأمانة والعصمة والسيرة الحسنة لدليل على صدق دعوتهم.

■ عدد الأنبياء والرُّسل عليهم السلام:

لا شك أنّ الله تعالى قد بعث جمعاً غفيراً من الأنبياء والرُّسل ﷺ، فمنهم من قصّ سبحانه علينا قصته في القرآن الكريم، ومنهم من لم يقصص؛ **قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ **غافر: ٧٨**، أمّا الذين ذُكروا في القرآن الكريم فهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في **قوله تعالى:** ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ **٨٣** **ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي الْمُحْسِنِينَ** **٨٤** **وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصّٰلِحِينَ** **٨٥** **وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين** **الأنعام: ٣٨ - ٦٨**، وذكر الآخرون في مواضع أخرى؛ **قال تعالى:** ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ **هود: ٥٠**، **وقال تعالى:** ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ **هود: ١٦**، **وقال تعالى:** ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ **هود: ٤٨**، **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ **آل عمران: ٣٣**، **وقال تعالى:** ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾ **الأنبياء: ٥٨**، **وقال تعالى:** ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ **الفتح: ٩٢** .

■ حكم الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام:

الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان، وقد أوجب الإسلام الإيمان بهم جميعاً دون تفریق، ومَنْ أنكر واحداً منهم فهو كافر خارج من الملة، فجميعهم جاؤوا بعقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُنِيَ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ٢٨٥ .

■ والإيمان بالأنبياء يكون على ضربين:

الأول: الإيمان التفصيلي: وهو الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ﷺ الذين ذكروا في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبكل ما أخبر عنهم .
الثاني: الإيمان الإجمالي: هو الإيمان بالأنبياء والرسل الذين أخبر القرآن عنهم إجمالاً من غير تفصيل؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: ٨٧ .

نشاط:

أذكر الدليل من السنة النبوية على أن الإيمان بالأنبياء والرسل ﷺ ركن من أركان الإيمان .

التقويم

- ١ أعرف الآتية: النبي، الرسول .
- ٢ أفرق بين النبوة والرسالة؟
- ٣ أبين دليلاً عقلياً على إثبات النبوة والرسالة؟
- ٤ كم عدد الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟
- ٥ أبين حكم الإيمان بالأنبياء والرسل ﷺ؟
- ٦ أعلل: وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ﷺ دون تفریق بينهم .

مرّ معنا أنّ الإيمان بالرُّسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، وأنّ الواجب على كلّ مكلف الاعتقاد بأنّ الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه، وقاموا بتبليغ ما أمرهم الله به .

ويتلخص الهدف من إرسالهم في أمرين :

الأول : هداية البشريّة إلى الإله الحقّ .

الثاني : هداية البشريّة إلى العبادة الحقّة .

ولقد تكفل الله - سبحانه - للإنسان بالمعرفة والعلم، وزوّده بالعقل والأدوات اللازمة؛ لتحصيلهما كالسمع والبصر؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨ .

ومع ذلك، فإنّ من الناس من يضلّ ويطنغي؛ فيعطل عقله، وأدوات علمه ومعرفته، ويطنّ في لحظة غفلة أو غرور أنّ بإمكانه الاستغناء عن ربه سبحانه وتعالى؛ قال - عزّ وجلّ - : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ العلق: ٦ - ٧ .

وسبب هذا الطغيان هو ظنّ الإنسان إمكانيّة الاستغناء بعقله، ونسيانه لحقائق ثلاثة بخصوص العقل :

الأولى : أنّ العقل موهبة من الله تعالى، وليس كسباً ذاتياً من عند الإنسان .

الثانية : أنّ العقل له طاقة محدودة ومجال للعمل، ولذا لم يكلفه الله سبحانه ما لا يطيق، أو ممّا ليس من اختصاصه؛ كعرفة الغيب مثلاً .

الثالثة : أنّ الذي يتحكم في حياة الناس - وخاصة اليوم - ليس العقل، وإمّا الأهواء والشهوات، وإلا فأين العقل من الفساد الأخلاقيّ، أو التردّي القيميّ، أو المجاعات التي تنتشر بين بني الإنسان، بينما الأموال تهدر على التسليح؛ لقتل الإنسان بدلاً من إسعاده .

■ ضلال البشرية دون الرُّسل:

إنَّ البشريَّة المنقطعة عن الإيمان بالله ورسالات الأنبياء تعيش حالة من الضلال والتهيه، بل وحياة الجاهلية بكلِّ معانيها، وهذا الضلال يتمثل في وجهين:

الأول: ضلال العقل سواء أكان ذلك في جانب العقيدة والشرك بالله، أم في جانب العبادة؛ كدعوة غير الله أو الاستعانة بغير الله.

والثاني: فساد الفطرة: إذ إنَّ الفطرة البشريَّة إنْ تُركت على حالها دون تدخُّل سلبِّي فيها، فإنَّها تهدي صاحبها إلى الإيمان بالله تعالى، ولكنَّها كثيراً ما تتأثر بالمؤثرات الخارجية فتحرفها عن الصواب، فتتصور الخالق على غير حقيقته، أو تشرك معه آلهة أخرى.

ولهذا، فقد أمرنا الله - سبحانه - بإقامة وجهنا على الدين القيم؛ **فقال سبحانه:** ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **الروم: ٣٠**، إلا أنَّ البشريَّة قد حرَّفت هذه الفطرة أو طمستها، فأية فطرة سليمة تقبل بأن يُعبد شخص كفرعون من دون الله سبحانه؟!، وأية فطرة سليمة تقبل بأن تكون البقرة إلهاً؟ بل ويصل الأمر إلى تبرُّك الناس بالاستحمام من بولها المقدس؟!، وأية فطرة سليمة تقبل بأن يصنع الإنسان إلهه بيديه، ثمَّ يعبده، أو يأكله إذا جاع عندما يصنعه من التمر؟!.

■ حاجة البشريَّة إلى الرُّسل:

إذا بلغ الناس هذا المبلغ من التيه والفساد؛ بضلال العقل وفساد الفطرة، فإنَّ الحاجة إلى الرسل تكون ملحةً لتصحيح مسار البشريَّة، وإعادتها إلى الصواب، وتتلخص حاجة الناس إلى الرُّسل فيما يأتي:

- ١ بيان العقيدة الصحيحة، التي يتجه فيها الإنسان إلى الإقرار بالخالق الرازق وعدم الشرك، أو الكفر به سبحانه.
- ٢ هداية الناس إلى العبادة الصحيحة، ومنْ أولى من الخالق الرازق المحيي المميت المدبر أن يتجه الناس إليه بالعبادة.
- ٣ تنظيم أمور الحياة للإنسان من جميع جوانبها؛ فالخالق - سبحانه - هو الأعلم بخلقه، وما يصلح لدنياههم، وأخراهم.
- ٤ نشر القيم والأخلاق الفاضلة في البشريَّة، إذ دون ذلك تتحول البشريَّة إلى نوع من مجتمعات الغاب.

ولقد مدح الله - سبحانه - رسولنا ﷺ بِخُلُقِهِ ؛ فقال - عز وجل - : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٤ .
ورحم الله أحمد شوقي عندما قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () العقل موهبة من الله سبحانه ، وليس كسباً من الإنسان .
- ب () الإنسان لن يستغني بعقله عن الرُّسل .
- ج () تفسد الفطرة عندما يتدخل بها الإنسان إيجاباً .
- د () الأَوْلَى أن توجه العبادة إلى الخالق الرازق .
- ٢ يتحدد الهدف من إرسال الرُّسل في أمرين ، أذكرهما .
- ٣ حاجة البشريّة إلى الرُّسل تتلخص في أربعة أمور ، أعدّها .

شاءت إرادة الله تعالى الحكيم الخبير أن يكون الرُّسُل رجالاً؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ **الكهف: ١١٠؛** ليكونوا أقدر على القيادة والتوجيه لمن يُرسلون إليهم، ولم يكونوا من الملائكة لاختلاف طبيعة الملائكة عن طبيعة البشر، ولكي يُسهل التآسي بهم، وليكونوا في دعوتهم وأفعالهم، وأخلاقهم حجة على أقوامهم؛ فكانوا الأعظم خُلُقاً، والأشرف نسباً، فقد أثنى الله تعالى على رسوله محمد ﷺ؛ **فقال:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **القلم: ٤.** واختار الله الرُّسُل من أشرف بني آدم نسباً؛ **قال رسول الله ﷺ:** «بُعِثت من خير قرون ابن آدم قرناً، فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»^(١).

أفكر:

لماذا اصطفى الله الأنبياء والرسل من الرجال دون النساء؟

■ صفات الأنبياء والرسل:

وللرسل صفات تُميّزهم، ويفضّلون بها على غيرهم، ومن أبرز صفاتهم:

■ أولاً: الفطنة:

ومعنى الفطنة: الفهم. ومن متطلباتها: الفهم، والعلم، والحكمة، واليقظة والانتباه، ورجاحة العقل، فمن حمّل رسالة علمية ومهمة تربوية، وقاد سياسة الناس لا بدّ أن يتصف بالفطنة، وتشهد لفطنة الرُّسُل آيات كثيرة؛ ففي فطنة نبينا محمد ﷺ؛ **قال تعالى:** ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ **النساء: ١١٣،** ومنها ما يشهد لفطنة غيره من الأنبياء؛ كإبراهيم عليه السلام مثلاً؛ **قال تعالى:** ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ **النساء: ١١٣.**

١ البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

■ ثانياً: العصمة:

تدور معاني العصمة حول الحماية والصون، والمنع من الوقوع في الخطأ، والرُّسل الكرام ﷺ بعد نبوتهم وبعد الأمر بالاقتداء بهم معصومون عن المعاصي، وهذا ما يسمى بعصمة الرُّسل، فالعصمة بهذا المفهوم: «حفظُ أوامر الله تعالى من مخالفتها، وحفظُ نواهيه من الوقوع فيها».

وقد اتفقت الأمة على أن الرُّسل معصومون في تحمُّل الرسالة؛ فلا ينسون ممَّا أوحاه الله إليهم إلا شيئاً نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله محمد ﷺ بأن يقرئه، فلا ينسى شيئاً ممَّا أوحاه إليه؛ **قال تعالى:** ﴿سُنِّفِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ **الأعلى: ٦**، وهم معصومون كذلك من الوقوع في الذنوب والقبايح، لا كما يعتقد اليهود والنصارى الذين ينسبون لأنبيائهم الكبائر والفواحش.

وكما أن الرُّسل معصومون عن المعاصي الاعتقادية والقولية والفعليَّة والخلقيَّة، فهم معصومون عن الكتمان والتحرير والخطأ والغلط، فيما أمرهم الله بتبليغه للناس؛ لأنَّهم لو لم يكونوا كذلك، لما كانوا أهلاً للاصطفاء بالرسالة، ولانعدمت الثقة فيما يبلغون عن ربهم -عزَّ وجلَّ-، ولما جعلهم الله تعالى أسوة حسنة، وأمر بالاقتداء بهم؛ **قال الله تعالى:** ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَّوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ **المتحة: ٦**.

■ ثالثاً: الصدق:

الصدق صفة واجبة للرسول لا تنفك عنهم؛ لأنَّها ضمن وظيفتهم ومهمَّتهم، وهي دليل اصطفايتهم بالرسالة، ولا يتصور تبليغ من غير صدق؛ **قال تعالى:** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ **الأنعام: ١١٥**، ومن أدلَّة صدق الرُّسل دليل المعجزة، ولو كان الرسول كاذباً لم يُجر الله على يديه المعجزة؛ **قال تعالى:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرِّعُونَ مِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظَرِينَ﴾ **الأعراف: ١٠٤ - ١٠٨**، وقد شهد الله تعالى بصدق الرُّسل فيما بلَّغوا، كما نوه بأنه لا يقربُ رُسله على الكذب أو الافتراء عليه؛ **قال تعالى** مخبراً عن نبيِّه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ **الحاقة: ٤٤ - ٤٦**.

■ رابعاً: الأمانة في التبليغ:

الرُّسُلُ مَبْلُغُونَ عَنْ رَبِّهِمْ ، وقد اصطفاهم الله لهذه المهمة ؛ **قال تعالى** : ﴿ يَتْلُوهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ **المائدة: ٦٧** ، وبما أن الرُّسُلَ مأمورون بالتبليغ عن الله ، ومعصومون عن مخالفة أمره وجب علينا أن نعتقد بأنهم لم يكتموا عن أمهم شيئاً مما أمروا بتبليغه ؛ لأن الله ما اختارهم لحمل رسالته إلا ليقوموا بتبليغ شرائعه ، ولكونهم معصومين عن الوقوع في المعاصي .

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
 - أ () المعجزة دليل على صدق النبي .
 - ب () الرُّسُلُ معصومون من النسيان على الإطلاق .
 - ب () الرُّسُلُ من أشرف الناس نسباً .
- ٢ أعرف : الفطنة ، العصمة .
- ٣ ما متطلبات الفطنة؟
- ٤ أستدل بآية قرآنية على الفطنة لدى الأنبياء .
- ٥ أبرهن على عصمة الرُّسُل من الخطأ ، والتحريف في التبليغ .
- ٦ ما دليل صدق الأنبياء في رسالاتهم؟
- ٧ أعلل ما يأتي :
 - أ يجب الاعتقاد بأن الرُّسُلَ لم يكتموا عن أقوامهم شيئاً مما أمروا بتبليغه .
 - ب أرسل الله تعالى الرُّسُلَ من البشر .

مرّ معنا أنّ جميع الرُّسل جاؤوا بعقيدة واحدة، ودعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والناظر في الرسائل السماوية وما جاءت به من أحكام وشرائع، يرى حكمة الله البالغة في أنّه جعلها متناسب مع واقع كل أمة من الأمم من حيث أوضاعها وحاجاتها ونضجها العقليّ وتطورها الحضاريّ، فالأمة التي انتشر فيها التطفيف بالمكيال والميزان جاء التوجيه خاصّ بذلك، والأمة التي انتشرت فيها الفواحش جاء توجيهه لتخليصها من الفواحش، وهكذا كانت تلك الرسائل غاية في التناسق والتكامل، متدرجة في تنبيه شعوب الأرض إلى واجباتها، حسب مستوياتها حتى تمت، وختمت برسالة محمد ﷺ.

■ فما معنى ختم النبوة؟

ختم النبوة يعني: أنّ محمداً ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين، وأنّ رسالته خاتمة الرسالات، وأنّ دين الإسلام هو دين الحقّ الذي لا يقبل الله من أحد غيره؛ **قال تعالى:** ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ **آل عمران: ٨٥**، وأنّ القول بوجود أنبياء آخرين بعد محمد ﷺ أو رسالات أخرى بعد الإسلام مخالف لنصوص القرآن والسنة النبوية وإجماع الأمة، ويخرج قائله من ملة الإسلام.

■ من الأدلة على ختم النبوة:

إنّ مسألة ختم النبوة من مسائل العقيدة الراسخة، شأنها شأن أركان الإيمان، وعليها الكثير من الأدلة الشرعيّة والعقليّة.

■ الأدلة الشرعية:

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ **الأحزاب: ٤٠**؛ إذ تبين الآية الكريمة أنّ محمداً ﷺ خاتم النبيين، ويلزم من ذلك أن يكون خاتم المرسلين؛ بمعنى إذا كان لا نبيّ بعده، فلا رسول بعده من باب أولى.

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - نبيّه ﷺ والمؤمنين أنّه قد أكمل لهم هذا الدين، وأتمّه فلا يحتاجون إلى أن يزيدوا عليه أو ينقصوا منه؛ **قال تعالى:** ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿المائدة: ٣﴾ ، كما يفهم من الآية الكريمة -أيضاً- أنّ شريعة الإسلام لن تُنسخ بأخرى ، كما نسخت الشرائع السابقة ، وهذا دليل على أنها خاتمة الرسالات .

ثانياً : الأدلة من الأحاديث الشريفة :

هناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي تناولت مسألة ختم النبوة ، منها :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مثلي ، ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً ، فأحسنه ، وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين»^(١) . لقد جاء هذا الحديث حاسماً في تأويل قوله تعالى وخاتم النبيين ، فقد شبه رسول الله ﷺ عالم النبوة بالصرح البديع الذي يكاد يكتمل إلا موضع لبنة ؛ فاكتمل البناء بنبوته ﷺ .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدي»^(٢) .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(٣) .

ثالثاً : إجماع الصحابة :

إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بعد القرآن ، والسنة وقد حارب الصحابة رضي الله عنهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي ﷺ .

نشاط:

أذكر بعض من ادعى النبوة في زمن رسول الله ﷺ ، وصحابته .

رابعاً : إجماع علماء الأمة بعد إجماع الصحابة رضي الله عنهم :

فهم في كل زمان ومكان إلى زمننا هذا مجمعون على عقيدة ختم النبوة .

١ رواه مسلم : كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

٢ أخرجه البخاري : كتاب الأنبياء ، باب ذكر بني إسرائيل ، وأخرجه مسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء .

٣ رواه مسلم : كتاب الفضائل ، باب أسماءه ﷺ .

■ الأدلة العقلية:

إن الناظر إلى رسالة الإسلام، ومبادئها، وأهدافها يصل إلى قناعة راسخة إلى أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة، وذلك من وجوه كثيرة، منها:

١ هي الرسالة الوحيدة التي تكفل الله بحفظها من بين الرسالات السماوية؛ إذ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقد عجز أعداء الإسلام عن إثبات عكس هذه الحقيقة مع كثرة المحاولة.

٢ عالمية رسالة الإسلام في مجالاتها الاعتقادية والتشريعية، فقد جاءت تشريعاتها كاملة تنظم شؤون البشرية جمعاء.

٣ جعلت للعقل الإنساني دوراً مهماً في فهم النصوص، واستنباط الأحكام الشرعية؛ ما حفظ لها حيويتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ولم يكن هذا في الرسالات السابقة.

■ الفرق الضالة التي خالفت عقيدة ختم النبوة:

■ أولاً: القاديانية:

من الفرق الضالة التي خالفت إجماع المسلمين في مسألة ختم النبوة فرقة القاديانية (الأحمدية)، نسبة إلى شخص اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني من بلدة قاديان في باكستان، ادعى النبوة في زمن الاستعمار البريطاني للهند، وتوفي سنة ١٩٠٨، وقد فسر قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] التي وردت في الآية السابقة تفسيراً غريباً وشاذاً، حيث قال (خاتم النبيين)؛ أي طابعهم، فكل نبي يظهر بعد محمد ﷺ مطبوعة بخاتم، كما وأول قوله ﷺ: « لا نبي بعدي » على معنى: أنه لا نبي بعده من غير أمته.

وقد توالى ضلالات القاديانية، ومظاهر خروجهم من ملة الإسلام؛ فقد حكم أتباعها بالكفر على من لا يؤمن بنبوّة غلام أحمد، ومنعوا أتباعهم من الصلاة وراء المسلمين، أو الزواج من المسلمات وحرّفوا، وبدّلوا في مبادئ الإسلام.

■ ثانياً: البهائية:

ومن الفرق الضالة أيضاً فرقة البهائية، نسبة إلى مؤسسها الذي أطلق على نفسه بهاء الله، واسمه الميرزا حسين علي المازندراني، نسبة إلى بلدته مازندران ولد سنة ١٨٥٣ م في إيران، حيث ادعى أنه نبي يُوحى إليه بعد رسول الله ﷺ، وقال بحلول الله سبحانه وتعالى في شخصه وتوحده به.

وبعد مطاردته من شاه إيران استقرَّ به المقام في مدينة عكا في فلسطين، ومات فيها سنة ١٨٩٢، وأوصى بالأمر من بعده إلى ولده عباس، الذي لقب نفسه (عبد البهاء).

أول البهائية قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، أن الخاتم بمعنى: الحلية، والزينة، ومحمد ﷺ هو بين الأنبياء عليهم السلام حليتهم وزينتهم التي يتزينون بها، وهذا نوع من التلاعب بالقرآن الكريم عن طريق تأويل ألفاظه ومعانيه تأويلاً باطلاً ومخالفاً لمقاصد القرآن الكريم. كما أسقطوا فريضة الجهاد، ودعوا إلى وحدة الأديان، واتخذوا قبلة غير قبلة المسلمين.

والمتتبع لنشأة هاتين الفرقتين الضاليتين، يرى أن الاستعمار البريطاني -آنذاك- هو مَنْ شجّع على ظهورهما، ودعمهما بقصد إفساد عقيدة الإسلام، وتفتيت الأمة الإسلامية إلى فرقٍ وأقاليمٍ متنافرةٍ متباغضةٍ.

فلا يزال -إلى يومنا هذا- مَنْ يقف مع هذه الفرق الضالّة من الدول الغربية والكيان الإسرائيليّ، ويدعمها ويسهل نشر أباطيلها.

التقويم

- ١ ما المقصود بختم النبوة؟
- ٢ ما حكم مَنْ لا يؤمن من أهل الكتاب برسالة محمد ﷺ؟
- ٣ أوضّح حكم مَنْ ينكر عقيدة ختم النبوة.
- ٤ أعلل: تعتبر رسالة الإسلام الرسالة الوحيدة التي جاءت للناس كافة.
- ٥ أذكر الأدلة العقلية على ختم النبوة.
- ٦ أبين خطر الفرق الضالّة على العقيدة الإسلامية.

إنَّ وجوه البشارة بالنبي ﷺ في كتب الأنبياء من أهم ما أكّدت عليه النصوص القرآنية والسنة النبوية التي أظهرت أنه ما من نبي إلا وذكر أمته بأمر هذا النبي، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق، لئن بعث محمد ﷺ ليؤمننَّ به؛ **إذ قال تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ **آل عمران: ٨١.**

والعلماء من أهل الكتاب - كما ذكر القرآن الكريم - يعرفون رسول الله ﷺ معرفتهم بأنبيائهم؛ لكثرة ما حدّثهم الأنبياء عنه، وعن صفاته المكتوبة في كتبهم؛ **إذ قال تعالى** في بيان ذلك: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **الأنعام: ٢٠.**

وكان اليهود في الجزيرة العربية يدعون الله أن يفتح عليهم بالنبي المنتظر حتى يتبعوه، ويقاتلوا العرب الوثنيين معه؛ لأنهم يعلمون أن الله سيكتب له النصر والفتح، ولما جاء النبي من العرب، ولم يكن من بني إسرائيل حسدوهم على ذلك وكفروا به، وقد بين الله تعالى حقيقتهم في **قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **الأنعام: ٢٠.**

وقد بين القرآن الكريم أن عيسى ﷺ بُشِّرَ برسول يأتي من بعده اسمه أحمد؛ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ **الصف: ٦.**

وقد آمن بسبب هذه البشارات عدد من اليهود والنصارى، منهم: الجارود بن العلاء، الذي كان من علماء النصارى، وعبد الله بن سلام كان من أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة.

■ شهادات من التوراة والإنجيل تتضمن البشارة بمحمد ﷺ:

عرفنا في الدروس السابقة، أن التوراة والإنجيل الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى -اليوم- محرّفة، ويدل على ذلك الاختلاف الظاهر بين نسخها وطباعتها، ومع ذلك فقد بقي فيها من البشارات على نبوة محمد ﷺ.

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب التفسير، وأبَيِّن تفسيرا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ التين: ١ - ٢.

■ ومن أمثلة ذلك:

- ما جاء في سفر التثنية، المنسوب إلى موسى ﷺ، أنه قال لبني إسرائيل قبيل وفاته: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاً لأ من جبل فاران»، فقد أخبرهم موسى ﷺ بأنه كما جاءت رسالة الله إليه على جبل الطور في سيناء، فإن النبوة ستشرق من جبل سعير في فلسطين؛ وذلك بنبوّة عيسى ﷺ، ثم ستتلاً النبوة من فوق جبل فاران بنبي عظيم يخرج منها.
- فاسمُ فاران ورد في التوراة في حديثها عن مكة المكرمة، وقد جاء في سفر التكوين أن إسماعيل ﷺ نشأ، وتربى في برية فاران، إذ يقول السفر عن إسماعيل: «كان الله مع الغلام، فكبر...، وسكن في برية فاران».
- وذكرت التوراة -أيضاً- مكان الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ، ففي سفر إشعياء الإصحاح (٢١): «وحي من جهة بلاد العرب في الوعر»، وقد كان بدء الوحي في بلاد العرب في الوعر في غار حراء.

• أما ما جاء في الإنجيل، فهناك أمثلة كثيرة منها:

- ١ ورد في إنجيل متى، الإصحاح (١٢): «إن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان لسمع، فليسمع)؛ إذ المقصود بإيليا: محمد ﷺ.
- ٢ ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤): «إن كنتم تحبوني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب، فيعطيكُم فارقليط آخر؛ ليمكث معهم إلى الأبد». وفي نص آخر: «والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي، هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكر لكم كل ما قلته لكم»،

والفارقليط تعريب للفظ اليوناني الموجود في الإنجيل، وهو كثير الحمد، وهو مدلول صيغة التفضيل (أحمد) من الفعل حَمَدَ.

■ أمثلة من التاريخ على إيمان بعض النصارى بدلائل البشارات الموجودة في الأناجيل:

- رحل سلمان الفارسيّ من بلاد فارس إلى بلاد الشام، واستقرّ في يثرب ينتظر مقدّم رسول الله ﷺ، لما أخبره به (الرهبان) الذين التقى بهم عن ظهور نبيّ في بلاد العرب في أرض ذات نخيل هي يثرب.
- لما وصل خطاب رسول الله ﷺ، الذي حمله جعفر بن أبي طالب إلى النجاشيّ ملك الحبشة، قال: «أشهد بالله أنّه للنبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب».

التقويم:

- ٣ كيف سكن اليهود جزيرة العرب؟
- ٤ كيف كان اليهود يتوعدون العرب في يثرب؟
- ٥ أعطي مثلاً واحداً من التوراة، وآخر من الإنجيل يبشّر بنبوّة محمد ﷺ.
- ٦ أذكر مواطن الرسالات الثلاث التي أشارت إليها سورة التين.
- ٧ أذكر مثالين على مَنْ آمن من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ: أحدهما من اليهود، وآخر من النصارى.
- ٨ ماذا تستنتج من قول النجاشي: «أشهد بالله أنّه للنبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب»؟

الوحدة

٦

الإيمان باليوم الآخر

هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وقد اهتم به القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، ومن مظاهر ذلك: أنه أطلق عليه الكثير من الأسماء، ونبّه إليه في كل مناسبة، حتى لا تكاد تجد سورة من سور القرآن الكريم إلا وفيها ذكر لليوم الآخر، بل وربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة: ٢٣٢، وفي ذلك تنبيه على أنّ الإيمان باليوم الآخر من مستلزمات الإيمان بالله تعالى، وللتذكير باليوم الآخر تأثير في النفوس، وفيه ضبط لسلوك الإنسان وأعماله، وحافز للالتزام أحكام الدين، وعدم الغفلة عنها.

والمقصود باليوم الآخر: هو اليوم الذي تبعث فيه الخلائق، وتحشر للحساب ونيل جزاء الأعمال خيراً أو شراً.

■ معنى الإيمان باليوم الآخر:

أما الإيمان باليوم الآخر فهو: الاعتقاد الجازم بأنه آخر يوم في هذه الحياة الدنيا، وفيه يفنى العالم كله، وبفنائته تبدأ الحياة الأخرى. ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما سيقع فيه من أهوال، وما يسبقه من علامات وأشراط، والنفخ في الصور، وبعث الخلائق، والحشر، ونشر الصحف والحساب والموازن والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار وغيرها، مما أخبر عنه القرآن، أو جاء في السنة النبوية الثابتة.

■ من أسماء اليوم الآخر:

تكرر ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم، وتعددت أسماؤه، ومنها:

- ١ يوم القيامة: لأنّ فيه قيام الخلائق للحساب؛ قال تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ القيامة: ١.
- ٢ يوم الدين: وسمي بذلك؛ لأنّ فيه الحكم على الخلائق ومجازاتهم؛ قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤.
- ٣ يوم الفصل: فيه يفصل الله تعالى بين الخلائق بالعدل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ النبا: ١٧.

٤ يوم الوعيد: ففيه يتحقق وعيد الله تعالى للكافرين؛ **قال تعالى:** ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمٌ الْوَعِيدِ ﴾ ق: ٢٠ .

٥ يوم الخلود: فالحياة في هذا اليوم حياة خالدة أبدية في الجنة أو النار؛ **قال تعالى:** ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ ق: ٣٤ .

ويلاحظ في بعضها أنها تضمنت المعاني الدالة على تحقق وقوع ذلك اليوم؛ كالواقعة أو ما يجري فيه من أهوال، ومنها: القارعة والغاشية والطامة، وغيرها.

■ أدلة الإيمان باليوم الآخر:

■ الدليل النقلی:

الأدلة النقلية على اليوم الآخر كثيرة، فمن القرآن الكريم الآيات السابقة الدالة على أسماء اليوم الآخر، ومنها الإخبار على لسان الأنبياء والمرسلين، فعلى لسان نوح، **قال تعالى:** ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ هود: ٢٦، وعلى لسان شعيب **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ هود: ٨٤، فكلهم أخبر قومه به، ومما خوطب به الرسول محمد ﷺ **قوله تعالى:** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مريم: ٣٩، **وقوله تعالى:** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨ .

ومن السنة النبوية، كل حديث ذكر فيه اليوم الآخر -وبأي اسم من أسمائه- دليل نقلی على اليوم الآخر، ومن ذلك الأحاديث التي تناولت أشراف الساعة؛ **كقوله ﷺ:** «بعثت أنا والساعة كهاتين» قال: وضمّ السبابة والوسطى.^(١)

■ الدليل العقلي:

الناظر في حياة الناس، يرى منهم المحسن ومنهم المسيء، ومنهم الظالم والمظلوم، والذي يقتل وينهب ويسرق ويخون دينه، ويعتدي على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم، وقد يفلت بعض من يقتربون السوء من العقاب في الدنيا، ولا يقتصّ منهم، ولا يعاد لصاحب الحق حقه، فهل يعقل أن تكون هذه هي النهاية؟ هل يعقل أن يترك المسيء يفلت بلا عقاب أو حساب؟ وهل يقبل العقل أن يبقى المحسن بلا جزاء

١ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين، ورواه مسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة واللفظ له.

وثواب؟، إنَّ العقل لا يقبل بذلك، فلا بدُّ أن يكون هناك يوم يجازى فيه المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وتُرَدُّ فيه الحقوق لأصحابها، وإلا لكان الخلق والوجود كله عبثاً، وهو ما لا يقبله العقل؛ قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿المؤمنون: ١١٥-١١٦﴾.

لا يقبل العقل أن يستوي المؤمن العابد لله تعالى والكافر الظالم، فالأول أدى ما عليه، والتزم أوامر الله ونواهيه، فصام وصلى وتصدق وحسن خلقه، والثاني أتبع نفسه هواها، ورتع في الدنيا وشهواتها، وانصاع لنزواته وغرائزه، وأشبعها على غير هدى، وكفر بأنعم الله، وتنكر لخالقه، ثم يموت كلاهما (المؤمن والكافر)، فلا ثواب ولا عقاب؟!، إنَّ العقل يدرك أن لا بُدَّ من يوم يجازى فيه كل واحد منهما على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ قال تعالى: ﴿أَفَجَعَلْنَا الْمُجْرِمِينَ كَالْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿القلم: ٣٥-٣٦﴾.

■ حكم الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومن أنكره فهو كافر خارج من ملة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء: ١٣٦﴾.

التقويم

- ١ ما المقصود باليوم الآخر؟
 - ٢ يتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً كثيرة. أذكر ثلاثة منها؟
 - ٣ أذكر مظهرين من مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر.
 - ٤ هاتِ أربعة من أسماء اليوم الآخر وما تدل عليه من معانٍ.
 - ٥ اعلل ما يأتي:
- أ لا مفرّ للعقل من الإقرار باليوم الآخر.
- ب اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر اهتماماً كبيراً.

إن الساعة من أسماء يوم القيامة ، ويوم تقوم الساعة تنتهي الحياة الدنيا بجميع أوضاعها ، وتبدأ القيامة بكل أهوالها ، فلا يبقى شيء في مكانه أو على نسقه المألوف ؛ فالسماوات تطوى ، والكواكب تُنتثر ، والأرض تُسوى ، والنظام الكوني كله لا يبقى على صورته المعهودة ؛ **يقول سبحانه وتعالى** : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا الْأَشْجَارُ أَغْلَبَتْ ⑦ وَإِذَا الْأَنْبَاءُ نُفِثَتْ ⑧ وَإِذَا الْكُوفُ أُنزِلَتْ ⑨ وَإِذَا الْجِبَالُ أُنزِلَتْ ⑩ وَإِذَا الْأَشْجَارُ أَغْلَبَتْ ⑪ وَإِذَا الْكُوفُ أُنزِلَتْ ⑫ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ⑬ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ⑭ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ **الانفطار: ١ - ٥ .**

■ موعد الساعة:

أما زمان الساعة ووقتها فمما اختص به الله سبحانه ، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه ، بمن فيهم الأنبياء والرسل ؛ **يقول سبحانه وتعالى** : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **الأعراف: ١٨٧** ، وإن كان الله سبحانه قد أخفى الساعة عنا ، إلا أنه سبحانه بين لنا أشراطاً أو علامات لها ، بمثابة مقدمات أصبحت من المعلوم من الدين بالضرورة ، فلا يجوز لمسلم أن ينكرها .

ثم جاءت أحاديث الرسول ﷺ ؛ لتفصل لنا في هذه الأشراف ، وقد قسمها علماؤنا إلى قسمين :

الأول : أشراط صغرى .

الثاني : أشراط كبرى .

أما الأشراف الصغرى للساعة ، فقد أسهبت فيها أحاديث الرسول ﷺ سواء من حيث :

- الفتن والفساد الذي سيظهر في البر والبحر .
- حالات الضعف والفرقة التي تحصل في الأمة .
- حالات الصراع التي يحدث بين الأمة وخصومها .
- البشارات والانتصارات التي ستتحقق للأمة .
- أم غير ذلك من الأمور التي تحدّث عنها الرسول ﷺ .

■ وأهم هذه الأشرطة ما يأتي:

أولاً: بعثة محمد ﷺ، والذي بعثته خُتمت النبوة والرسالة، واستقرّ المنهج الذي أراده الله سبحانه لصالح دنيا الإنسان وآخرته؛ قال ﷺ: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى»^(١).

ثانياً: تضييع الأمانة: حيث أمرنا الله سبحانه بحفظها، وعدم التفريط فيها، وأدائها على وجهها الصحيح؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «متى الساعة؟»، فقال: إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟، قال: إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٢).

ثالثاً: كثرة القتل والاستهتار بأرواح البشر، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة لهرجاً». قال: قلت يا رسول الله: ما الهرج؟، قال: القتل. فقال بعض المسلمين، يا رسول الله: إننا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته، فقال بعض القوم: يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟، فقال رسول الله ﷺ: لا، تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم»^(٣).

رابعاً: انتشار الفساد والفواحش والجهل عند الناس: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدثكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أشرط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقتل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القِيم الواحد»^(٤).

خامساً: تبدل الحال، واستيلاء أهل البادية على الأمر: وفي حديث جبريل الذي يرويه عمر بن الخطاب، عندما جاء يعلم الناس أمور دينهم في صورة إنسان، فسأل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»^(٥).

١ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين.

٢ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة.

٣ مسند الإمام أحمد: ٢/٢٩٤، سنن ابن ماجه ٢، ١٣٠٩.

٤ رواه البخاري: كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل.

٥ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أمارات الساعة.

سادساً: عودة الإسلام وانتشاره: فقد بشر الرسول ﷺ بانتشار هذا الدين، وبلوغه الأرض كلها، فعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلبغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»^(١).

أتعلم:

- المدر: الطين اللزج المتماسك. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية.
- الوبر: صوف الإبل والأرانب وغيرها. وأهل الوبر: أهل البادية.

سابعاً: مقاتلة اليهود والانتصار عليهم: فقد بشر الرسول ﷺ بنهاية ظلم اليهود على هذه الأرض المقدسة، وإزالة فسادهم واحتلالهم لها؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»^(٢).

التقويم

- ١ ما المقصود بأشراط الساعة .
- ٢ أذكر ثلاثة من الموضوعات التي تضمنتها أشراط الساعة .
- ٣ استدلّ بنص شرعي على أنّ بعثة الرسول ﷺ من أشراط الساعة .
- ٤ أوضّح المراد من (تضييع الأمانة) كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف .
- ٥ أذكر مشهداً من مشاهد الحياة اليومية التي نعيشها ويُعدّ من أشراط الساعة .
- ٦ ماذا تستنتج من قول الرسول ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» .

١ مسند الإمام أحمد: ١٠٣/٤ .

٢ رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود .

مرّ معنا في الدرس السابق أنّ للساعة أشراطاً صغرى بدأت ببعثة محمد ﷺ، وتنتهي بظهور العلامات أو الأشراط الكبرى، والتي تؤذن بتغيّر جذريّ في نظام هذا الكون العلويّ والسفليّ، هذه العلامات التي تسبق قيام الساعة، وتكون مقدمة لها، هي أحداث مذهلة وغير مألوفة.

وقد وردت هذه الأشراط في أكثر من آية كريمة وحديث نبويّ شريف، ولعلّ أشمل حديث لها: ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاريّ قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟»، قلنا: نذكر الساعة، قال: إنّها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تطرد الناس إلى محشرهم^(١).

- أمّا الدخان: فقال العلماء: إنّهُ يكون بين يدي الساعة، ويمكث في الأرض أربعين يوماً، ويعتبر من أشراطها الكبرى؛ لقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الدخان: ١٠-١١، وإنّه يصيب الكافر حتى يصبح بمنزلة السكران، وأمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام.
- وأمّا الدجال: فرجل يخرج في آخر الزمان، ويدّعي الألوهية، وهو من العلامات الكبرى للساعة، وسمي الدجال دجالاً؛ لشدة دجله، وتغطيته الحق بباطله، وتجري على يدي الدجال بعض الخوارق من باب الفتنة للناس، وقد وردت نصوص من السنة تشير إلى أنّه يظهر في أصفهان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهودها، وهو أعور العين اليمنى، ولا يمكن من دخول مكة والمدينة.
- وأمّا الدابة: فهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢، هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، فتميز المؤمن من الكافر، وقال المفسرون: إنّها تخرج من صدعٍ في الصفا.

١ رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة.

- وأما طلوع الشمس من مغربها: فهي بداية التغيير الذي يُحدثه الله سبحانه على نظام الكون العلوي، والذي يتبعه تغيير شامل لنظام الكون، وبظهور هذه الآية لا تنفع نفساً توبة أو إيمان أو عمل صالح، والذي بيده طلوع الشمس من المشرق قادر على أن يجعل شروقها من المغرب.
- وأما نزول عيسى بن مريم عليه السلام: فعقيدتنا فيه أنه رسول من رسل الله، بل من أولي العزم من الرسل، حاول اليهود قتله فنجاه الله منهم ورفعته إليه؛ **قال تعالى**: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ **النساء: ١٥٧**، وأنه سينزل في آخر الزمان يحكم بالإسلام، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب.
- وأما يأجوج ومأجوج: فهم أقوام من البشر، وردت نصوص صحيحة وصريحة تفيد العلم اليقيني بظهورهم في آخر الحياة وإفسادهم، وأما تحديد الزمن وتفصيلات ذلك فهو من أمور الغيب. وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم؛ حيث **يقول سبحانه**: ﴿ قَالُوا يَا نَذارَ الْفَرِّينَ إِنَّا بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ **الكهف: ٩٤**، **ويقول سبحانه**: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ **الأنبياء: ٩٦**.
- وأما الخسوف: فهي مما أخبر عنه الرسول ﷺ، وهي ثلاثة خسوف: واحد في المشرق، وثنان في المغرب، وثالث في جزيرة العرب. ولم يرد تفصيل أكثر حول هذه الخسوف، ولذا نتوقف عند هذه النصوص فقط.
- وأما النار التي تخرج من عدن: فتسوق الناس جميعاً إلى أرض المحشر، وهي أرض الشام، وعدن هي المدينة المشهورة في اليمن، وفي رواية أخرى: إنها تخرج من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى الشام. ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، أو أن يكون ابتداء خروجها من اليمن، بينما كثرة قوتها بالحجاز. والله تعالى أعلم.

■ ميزة العلامات الكبرى:

تمتاز العلامات أو أشراف الساعة الكبرى، في أنها إذا ظهرت يغلق باب التوبة والعمل الصالح، فلا يقبل إيمان من كافر أو توبة من عاص، أو عمل من مقصر، بخلاف العلامات الصغرى التي فيها مجال لكل ذلك. **يقول -عز وجل-**: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنًا مِّن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ مَنْظُرُونَ مُنظَرُونَ ﴾ **الأنعام: ١٥٨**.

- ١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () الأشراط الكبرى تغير من نظام الكون العلويّ والسفليّ .
- ب () يمكث الدخان في الأرض أربعين سنة .
- ج () الدجال يدّعي الألوهية ، وليس النبوة .
- د () يستطيع الدجال أن يدخل جميع المدن على الأرض .
- هـ () يستطيع الإنسان الكافر أن يسلم مع ظهور العلامات الكبرى .
- و () النار التي تخرج من عدن تقف عند الحجاز .
- ٢ أذكر سبعة أشراط للساعة الكبرى وردت في الحديث الشريف .
- ٣ أوضّح أثر الدخان على المؤمن والكافر .
- ٤ أذكر ثلاثة أعمال يقوم بها عيسى عليه السلام عند نزوله؟
- ٥ أعود إلى معاجم اللغة ، وأستخرج معنى يأجوج ومأجوج .

كل نفس ذائقة الموت؛ فالإنسان بموته يفارق الحياة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الموت بالمصيبة، فقال: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُصِيبَةً أَلْمَوْتِ﴾ المائدة: ١٠٦ .

ويسبق الموت حالة من الشدة والكرب تعرف بسكرة الموت؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ﴾ ق: ١٩ .

كما يخبر الله تعالى عن حال الناس عند موتهم، وهم صنفان: أهل الشقاوة الظالمون لأنفسهم، حيث قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ النحل: ٢٨-٢٩، وأهل السعادة الذين وصف الله تعالى حالهم عند الموت بقوله: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٣٢، وأخبر أن الملائكة تسلّم عليهم، وتبشّرهم بالجنة، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت: ٣٠ .

أتعلم:

لم يثبت في تسمية ملك الموت حديث صحيح .

ومن علامات حسن الخاتمة للمؤمن أن يكون آخر كلامه في الدنيا (لا إله إلا الله)، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

■ حياة البرزخ:

إنّ موت الإنسان لا يعني فناءه، وإنما انتقاله من حياة الدنيا إلى حياة أخرى هي حياة البرزخ. والبرزخ في اللغة: هو الحاجز بين شيئين. وفي الاصطلاح: هي الحياة ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث؛ فمن مات دخل البرزخ؛ قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ٩٩-١٠٠ .

١ أبو داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين.

■ فتنة القبر وسؤال الملكين:

نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ من فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان عن ربه ودينه ونيبه، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الناس يُفْتَنُونَ في قبورهم، فيقال للعبد: مَنْ ربك؟، وما دينك؟، ومَنْ نبيك؟، فيقول المؤمن: رَبِّيَ اللهُ، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي. وأما المرتاب، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيُضْرَبُ ويُعَذَّبُ.

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب الحديث، وأكتب حديثاً في سؤال الملكين للإنسان في قبره.

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ إبراهيم: ٢٧، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أُقْعِدَ المؤمن في قبره أُتِيَ، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ **فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عذاب القبر». (١)

■ عذاب القبر ونعيمه:

لا ينتهي الأمر بالإنسان في قبره عند الفتنة والسؤال، بل إنَّ في القبر عذاباً ونعيماً، نؤمن بذلك ونصدق به؛ لما ورد في ذلك من قرآن، ولما أخبر به نبينا محمد ﷺ، ومن ذلك:

■ أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦، فهذه الآية أصل كبير في الاستدلال على عذاب القبر، **ففي قوله:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، إشارة إلى عذاب القبر، والدليل على ذلك في **قوله تعالى** من الآية نفسها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فقد ذكرت الآية عذاب الآخرة، ما يدل أن العذاب الذي ذُكِرَ في بداية الآية غير عذاب الآخرة، وهو بلا ريب عذاب القبر.

١ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

■ ثانيًا: من السنة المشرفة:

ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مرّ النبي صلى الله عليه وآله بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبريهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يعذبان، وما يعذبان في كبير». ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة». ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا. أو إلى أن ييبسا»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»^(٢).

فائدة:

إن إدراك كيفية عذاب القبر أمر فوق مقدور البشر، فهو من الغيبات التي يصعب على العقل إدراكها.

■ أسباب عذاب القبر:

لعذاب القبر أسباب عديدة منها:

- ١ الشرك بالله تعالى والكفر به؛ دلّ عليه ما تقدم في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...﴾ غافر: ٤٦، وكذلك لما مرّ الرسول صلى الله عليه وآله بقبورٍ يُعذَّب أصحابها سأل عنهم، فأجابوا: ناس ماتوا في الجاهلية، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بالتعوذ بالله من عذاب النار^(٣).
- ٢ الغيبة والكلام في أعراض المسلمين من غير سبب شرعي.
- ٣ المشي بالنميمة ونقل الكلام للإفساد بين المسلمين.
- ٤ عدم التستر من البول والتنزّه منه.
- ٥ اختلاس الأموال العامة وخيانة الأمانة؛ ودليل ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدّثني عمرُ قال: لما كان يومٌ خَيْرٍ أَقْبَلَ نَفْرٌ من صحابة النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: فلان شهيدٌ، وفلان شهيدٌ، حتى مرّوا على رجلٍ فقالوا: فلان شهيدٌ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: كلا، إنّي رأيته في النارِ

١ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر.

٢ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يُعرض عليه بالغداة والعشي.

٣ مسند أحمد، ج ٢١، ص ١١٩، حديث رقم ١٣٤٤٧.

في بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أو عَبَاءَةٍ -، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بْنَ الْخَطَابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ - ثلاثاً - قال: فخرجتُ، فناديتُ: ألا إِنَّه لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، ثلاثاً»^(١).

التقويم:

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
- أ () حياة البرزخ هي ما بين الدنيا والآخرة من الموت إلى البعث .
- ب () يبشّر المؤمن فقط بخاتمته عند الاحتضار .
- ج () فتنة القبر هي ذاتها عذاب القبر .
- د () ثبتت حياة البرزخ بالأحاديث النبوية فقط .
- ١ أعدد ثلاثة أسباب لعذاب القبر .
- ٢ أستدلُّ بحديث واحد على عذاب القبر .
- ٣ أعلل ما يأتي:
- أ لا يمكننا الوقوف على كيفية عذاب القبر ونعيمه .
- ب إطلاق (البرزخ) على مرحلة ما بعد الموت .

١ رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .

يبدأ اليوم الآخر بأحداث عظام تتغير فيها معالم هذا الكون؛ فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب، وتفتت الأرض ويدمر كل شيء عرفه الإنسان في هذا الوجود؛ **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم: ٤٨، ويموت كل من كان على الأرض حياً، كل ذلك إثر النفخة الأولى في الصور (وهو البوق)، ينفخها إسرافيل بأمر ربه؛ **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٤ ﴿فِيَوْمٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ١٥ ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٣ - ١٦ .

وبعد النفخة الأولى يأمر الله سبحانه بالنفخة الثانية؛ فتعود الحياة على أثرها إلى الأموات، وهذا هو البعث الذي يتم فيه إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، وقد أقام القرآن الكريم الأدلة الكثيرة على البعث، وردّ على منكريه؛ منها **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الروم: ٢٧، فمن يبدأ الخلق، ثم يفنيه قادر على إعادته وبعثه لا محالة .

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم، وأكتب آية ردّ الله فيها على منكري البعث.

■ من أحداث اليوم الآخر:

■ الحشر:

ويكون بعد بعث الخلائق، وإخراجهم من قبورهم؛ **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ٨٥ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ مريم: ٨٥ - ٨٦، فيتّم حشر الخلائق لموقف الحساب، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً للفصل والقضاء بينهم .

وقد عرض القرآن الكريم طائفة من الصور المرعبة في ذلك اليوم؛ لتقريب حقيقة ما سيجري فيه إلى الأذهان، وتعميق الخشية من الله في القلوب، ومن هذه الصور:

١ تشقّق الأرض عن الخلائق يوم القيامة؛ فيخرجون منها سراعاً إلى موقف الحشر؛ **يقول**

تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ق: ٤٤، ويصيبهم الدهول

عند خروجهم من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنِّي زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ١-٢.

٢ ما يصيب أهل الموقف من كرب شديد يتفاوت بمقدار أحوال أهل الموقف في الحياة الدنيا من طاعة وعصيان لرب العالمين؛ روى المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تدنون الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً»، وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه. ^(١)

■ العرض والسؤال والحساب:

يُعرض الناس على ربهم، وتُقام الحجج عليهم، ويطلعون على أعمالهم، ويقروون صحفهم التي كتبتها الملائكة؛ يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٨، فيوقف الله العباد قبل الانصراف من الحشر؛ فيحاسبهم على أعمالهم وأقوالهم خيراً كانت أو شراً، وذلك بعد أخذهم صحائفهم؛ فيتعرفون على أعمالهم وما لهم وما عليهم، والناس متفاوتون في الحساب، فمنهم من يُحاسب حساباً يسيراً يعرض عليه عمله فيطلع الله على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة، ومنهم من يناقش الحساب بأن يسأل عن كل جزئية ولا يُقبل منه عذر ولا حجة؛ فيهلك مع الهالكين بعد أن يُفصح بين الخلائق، ويتولى ذلك كله أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

■ الصراط:

وهو جسر منصوب على جهنم، ورد وصفه في الأحاديث الصحيحة بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وهو في ظلام دامس، والمرور عليه لجميع الناس: الأنبياء والمؤمنين والكفار، وتكون سهولة مرور الناس على الصراط على حسب أعمالهم في الحياة الدنيا؛ فمنهم من يمرّ كانهضاض الكواكب، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كالطرف، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمرّ المقل في العمل الصالح تخريداً وتعلق يد، وتخريداً وتعلق رجل، ويعطون نوراً لاجتيازهم الصراط المستقيم على قدر أعمالهم.

١ رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة.

وعلى جوانب الصراط المستقيم كلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً، فمن اهتدى إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا هداه الله وأضاء طريقه عند اجتيازه له، ومن ضلّ عن هذا الطريق أظلم عليه فلا يجد طريقه ويهوى في النار.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى المرور على الصراط في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۗ﴾ ثم نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧١-٧٢﴾ مريم: ٧١-٧٢

■ آثار الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من حساب وعقاب وفوز وخسران آثار عظيمة في حياة الإنسان،
منها:

١ انضباط الإنسان والتزامه بما يرضي الله عزّ وجلّ، ويظهر ذلك واضحاً عند المقارنة بين اثنين أحدهما لا يؤمن باليوم الآخر ولا بالحساب على أعماله وأقواله، وهو منقاد لأهوائه وشهواته، وآخر يؤمن بيوم يحاسب فيه الناس على أعمالهم وأقوالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فالأول منفلت من أيّ انضباط، وتسيره أهواؤه وشهواته، والغاية عنده تبرر الوسيلة، والآخر منضبط في حدود الخير والحق والصلاح، فهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم.

٢ الشعور بالحياء من الله تعالى، والخشية من لقاءه وحسابه، والرغبة في تجنب سخطه وغضبه، والسعي إلى الوصول إلى مرضاته ومحبته؛ فيكون بذلك الإنسان الصالح في جميع دروب الحياة.

٣ يعلم المؤمن أنّ شهوات الدنيا كلّها لا تستحق منه الطلب والجهد والتنافس عليها، وإنّ الذي يستحق ذلك إنّما هو ما أعد الله لهم في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: ٣٨.

- ١ أعرّف: الحشر، العرض، الصراط .
- ٢ أستدل بنص شرعي لكلّ مما يأتي:
- أ قدرة الله - عزّ وجلّ - على إحياء الموتى .
- ب المرور على الصراط يوم القيامة .
- ٣ أصف حال الناس يوم الحشر .
- ٤ أفرّق بين النفخة الأولى والنفخة الثانية .
- ٥ أوضّح أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المؤمن .

الوحدة

الإيمان بالقضاء والقدر



الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة الإسلامية، ولا يتحقق إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر. فما معنى القضاء والقدر؟

■ معنى القضاء والقدر:

القدر في اللغة: من قَدَرْتُ الشيء إذا أَحَطْتُ بمقداره، والقدر في الاصطلاح: ما سبق به علمُ الله تعالى، وجرى به القلمُ ممَّا هو كائن إلى الأبد، فالله -عزَّ وجلَّ- قَدَّرَ مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعَلِمَ أنَّ هذه الأشياء سوف تقع في أوقات معلومة وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ على حسب ما قَدَّرَها سبحانه وتعالى .
والقضاء في اللغة يعني: انقضاء الشيء وتمامه، وكلُّ ما أَحْكَمَ عمله وأتمَّ .
وفي الاصطلاح: وقوع الشيء على نحو ما قَدَّرَ الله له .

■ مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

يتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب، مَنْ أقرَّ بها كان إيمانه بالقضاء والقدر مكتملاً، وهي:
الأول: علم الله الشامل المحيط بكلِّ شيء؛ فالله تعالى عالم بالعباد وأجالهم وأرزاقهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم؛ **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ **الطلاق: ٢١**، وعَلِمَ الله المسبق بما سيكون من حال العبد، ومَنْ سيختار الإيمان أو الكفر، لا يعني بأنَّ العبد مكره على الكفر، فلو قال المعلم لتلاميذه: فلان سوف ينجح لعلمه المسبق باجتهد ذلك الطالب ومتابعته. أو قال: فلان سوف يرسب لعلمه المسبق بحال هذا الطالب وتقصيره، ثم جاءت النتيجة مطابقة، فليس للطالب الراسب أن يحتجَّ على المعلم بسبب علمه المسبق وقوله، بل عليه أن يلوم نفسه على التقصير .

الثاني: كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ لكلِّ ما هو كائن؛ **قال تعالى:** ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ **يس: ٢١**، والقدر غيبٌ استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعليه فلا يُقبل قول مَنْ يقول: أنا لا أصلي؛ لأنَّ الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ألا أصلي!، فلا يُقبل احتجاجه هذا، ويقال له: هل اطَّلعت على الغيب، حتى تعلم ما كتب الله عليك؟ أليس الأولى أن تحسن الظنَّ بالله تعالى، فتعتقد أنه -سبحانه- قد كتب لك الخير؟

الثالث : مشيئة الله النافذة وقدرته التامة ، وأن كل ما يقع في الكون إنما يقع بمشيئة الله تعالى ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ **قال تعالى** : ﴿ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ **التكوير : ٩٢ .**

الرابع : أن جميع ما في الكون إنما هو خلق الله تعالى وأثر قدرته ، ليس له شريك في الخلق ؛ **قال تعالى** : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ **الزمر : ٢٦ .** والخير والشر مخلوقان لله تعالى في كل شيء خلقه ، وللخير أسبابه وللشر أسبابه ، والعبد يأتي هذه الأسباب ، ويعمل بمحض إرادته وحرية اختياره غير مُكره عليها ، وعلى هذا الأساس يثاب أو يعاقب .

نشاط:

يرتبط الإيمان بالقضاء والقدر بالإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن هذه الصفات : العلم والقدرة والإرادة . أرجع إلى القرآن الكريم ، وأكتب آيات ثلاث تتضمن هذه الصفات .

■ القدر سر من أسرار الله تعالى:

يكفي في الإيمان بالقضاء والقدر أن نعلم معناه وأركانه ، وأن نؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم ، وهو خالق كل شيء ، وفعل لما يريد ، وأنه عادل لا يظلم أحداً ، وأنه حكيم منزّه عن العيب ، ونؤمن بأن ما علم الله حاجتنا إليه بيّنه لنا ، وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلف البحث عنه ؛ فإن عقولنا محدودة ليس بمقدورها الكشف عما استأثر الله بعلمه ، وليس أمامنا إلا الإيمان بما يعرفنا الله عليه من أمور الغيب وقضاياه ، وقد بين الرسول ﷺ مسألة القدر ، وأن العمل والأخذ بالأسباب هو من القدر ، وحذر أمته من الذين يكذبون به ، وغضب غضباً شديداً عندما خرج على أصحابه يوماً ، وهم يتنازعون في القدر ، حتى كأنما فُقي في وجهه حبّ الرمان ، فقال : «أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ ، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»^(١) .

أقرأ وتدبر:

يقول الإمام الطحاوي : «أصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلّم الحرمان ودرجة الطغيان ، فالحذر الحذر من ذلك : نظراً وفكراً ووسوسةً ، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، **كما قال تعالى** : ﴿ لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾ **الأنبياء : ٢٣ ،** فمن سأل : لم عمل؟ ، فقد ردّ حكم الكتاب ، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين» .

١ رواه الترمذي : كتاب القدر ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

■ أدلة الإيمان بالقضاء والقدر:

- ثبتت عقيدة الإيمان بالقدر في آيات كثيرة من القرآن وفي أحاديث صحيحة ثابتة:
- أمّا آيات القرآن: فقد صرحت بوجوب الإيمان بإحاطة علم الله تعالى بكلّ شيء، وشمول إرادته لكلّ ما يقع في الكون، ونفوذ قدرته تعالى في كلّ شيء؛ **قال تعالى**: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد: ٢٢، **وقال تعالى**: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٩٤، **وقال تعالى**: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢، **وقال تعالى**: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ يونس: ١٦.
 - أمّا الأحاديث التي أثبتت عقيدة القضاء والقدر، وأوجبَت الإيمان بها فكثيرة، منها: حديث عمر رضي الله عنه أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وآله: «قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت»^(١).
- وروى مسلم في صحيحه قال طاؤوس: «أدرکت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: كلّ شيء بقدر». قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: «كلّ شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»^(٢).
- حكم الإيمان بالقضاء والقدر:
- الإيمان بالقدر خيره وشره واجب على كلّ مكلف، ومن أنكره كان كافراً خارجاً من ملة الإسلام، وقد أجمع أهل العلم على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

التقويم

- ١ أعرف: القدر، القضاء.
- ٢ أعدد أركان الإيمان بالقضاء والقدر.
- ٣ أوضّح الفرق بين القضاء والقدر.
- ٤ أستدلّ بآية قرآنية كريمة وحديث شريف على الإيمان.
- ٥ أيبّن معنى العبارة القائلة: «إنّ القدر سرّ الله تعالى في خلقه».

١ سبق تخريجه.

٢ رواه مسلم: كتاب القدر، باب كلّ شيء بقدر (٨/٥١/٦٩٢٢). والكيس: أي النشاط والحذق في الأمور.

حرية الإنسان واحدة من القضايا التي تناولها عقله وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيره منذ أقدم العصور، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة، فهي قضية تتعلق بحياة الإنسان وتتصل بمصيره، ويكده ويجده في البحث عله يهتدي إلى الحل الصحيح، كي يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذي يهتدي إليه.

والإنسان حين يبحث في مثل هذه القضية، لا يجعل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن إرادته واختياره، مثل: كونه أبيض أو أسود، أو ولد من هذا الوالد أو ذاك، أو نبضات قلبه وتنفسه، وجريان الدم في عروقه، فهذه الأشياء خارجة عن نطاق بحثه؛ لأن الإنسان لا اختيار له فيها، ولا إرادة.

وإنما يكون ميدان بحث الإنسان الأعمال التي تدخل في نطاق الإرادة والاختيار، ومدى حرته في ممارستها، مثل: خروجه من البيت، واتخاذ طعاماً معيناً، ولبسه نوعاً من الملابس، وتفضيله لوناً من العلم أو الكتابة، وممارسته حرفة من الحرف، وزيارته لغيره، وهكذا في كل عمل من الأعمال الاختيارية. وقد اختلفت الأنظار وتضاربت الأفكار تضارباً كادت تنتهي معها معالم الحق. فمن قائل: إن الإنسان مسير غير مخير ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياري، وإنه كالريشة في مهبّ الريح تتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال.

ومن قائل: إن الإنسان مخير غير مسير، وإنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض إرادته ومشئته. ومن قائل: إن الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب؛ أي أن الله يخلق الشيء عند مباشرته؛ أي أن الله يخلق الشبع عند الأكل، ويخلق المعرفة عند الدراسة، وهكذا فليس للعبد إلا الكسب، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب والمدح والذم.

■ والذي نراه في هذه القضية، ونختاره هو ما قرره الإسلام على النحو الآتي:

قرر الإسلام أن الإنسان خلق مزوداً بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن توجه إلى الخير كما يمكن أن توجه إلى الشر، فهي ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله، وفي الحديث

الصحيح: «كلّ مولود يولد على الفطرة»^(١)، وفي الحديث أيضاً: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فُقهوا»^(٢)، ويؤيد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ الشَّمْسُ: ٧-٨؛ أي أنّ الله خلق النفس وهياها، فجعلها قابلة للتقوى والفجور ومستعدة للخير والشر. والله سبحانه زوّد الإنسان بالعقل الذي يميز به الحق والباطل في العقائد، وبين الخير والشر في الأفعال، وبين الصدق والكذب في الأقوال، كما أعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحقّ الحقّ ويطلّ الباطل، وأن يأتي الخير ويدع الشر، وأن يقول الصدق ويجانب الكذب، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب وبما أرسل من رسل، وما دام العقل المميّز موجوداً، والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، ثبتت للإنسان حرية الإرادة واختيار الفعل.

وفي القرآن الكريم يقول سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ الإنسان: ٣؛ أي هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب، فهو إمّا أن يسلك السبيل الأهدى فيكون شاكراً، أو الطريق المعوج فيكون كفوراً.

وفي ذات المعنى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ البلد: ١٠، فكلّ إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه، وإصلاحها حتى تصل إلى كمالها المقدّر لها، فإنّ إصلاحها وتزكيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله، كما أنّ إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ الشَّمْسُ: ٩-١٠، والآيات التي تقرّر حرية الإنسان كثيرة جداً، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ فصلت: ٤٦؛ فأسند العمل الصالح والعمل السيئ إلى الإنسان، ولو لم يكن الإنسان حرّاً ما أسند إليه الفعل.

وإنّ القرآن ليتحدث عن المفساد والجرائم التي تحيط بالناس، فيبين أنّها ليست من صنع الله، وإنّما هي من عمل البشر؛ قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ الروم: ٤١، وهذا الذي يقرره القرآن هو ما يشعر به الإنسان من نفسه، فهو يشعر بأنّه يمارس أعماله الإرادية بحض إرادته واختياره، فهو يفعل منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء، وهو إذا فعل منها ما هو نافع استحقّ المدح، وإذا فعل ما هو ضارّ استحقّ الذمّ.

١ سبق تخريجه.

٢ رواه مسلم: كتاب البرّ والصلة، باب الأرواح جنود مجنّدة.

■ الردّ على مَنْ يقول بالجبر:

لو لم يكن الإنسان مختاراً لما كان ثمة فرق بين المحسن والمسيء، إذ إنّ كلاّ منهما مجبرٌ على ما يفعله، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا فائدة منها، حيث إنّ الإنسان مسلوب الإرادة، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد؛ لأنّ تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذي يتنزّه الله عنه، ويكون الأمر كما قال القائل:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلّ بالماء

بل لو كان الإنسان مسيراً لضاعت فائدة القوانين، ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب.

■ احتجاج الكفار بالقدر على فعل المعاصي:

وقد أراد المشركون أن يحتجّوا بمشيئة الله على شركهم، (وإنّه لو لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك)، فأبطل الله تعالى حجّتهم ودحضها بقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ الأنعام: ١٤٨-١٤٩.

فالقرآن يردّ على المشركين من وجهين:

الأول: إنّ الله أذاق الكافرين بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم، والكفر والشرك لما عذبهم؛ لأنّ الله عادل لا يظلم مثقال ذرّة.
والثاني: إنّهم زعموا ذلك عن جهل بالله وجهل بدينه، وإنّهم ليس عندهم من علم يمكن أن يُستند ويرجع إليه، وإنّما كفرهم هذا تمرد على دينه وافتراء على الحق الذي أنزله على السنة الرسل.

■ مشيئة الربّ ومشية العبد:

وقد يقال: إذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار، فما معنى قوله ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ التكوير: ٢٨-٢٩، فنقول: معناها أنّ الإنسان لا يشاء شيئاً إلا إذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته، فمشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة الله، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقتين: طريق الهداية أو طريق الضلالة.

■ خلاصة مسألة القضاء والقدر:

نخلص ممّا مضى من الحديث في مسألة القضاء والقدر أنّ الإنسان مخيّر في بعض أعماله ومسير في بعضها الآخر، وهذا هو الرأي الصحيح؛ فالإنسان بذلك يعيش في دائرتين:

الدائرة الأولى: دائرة تسيطر عليه: والأعمال في هذه الدائرة لا تقع منه، بل تكون نتيجتها عليه دون اختياره، ومن ذلك: تكوين جسمه، ولادته وموته، فهذه وقعت عليه وليست منه، فلا يحاسب عليها ثواباً أو عقاباً؛ إذ ليس له فيها اختيار، وحاشا لله تعالى أن يحاسبه على ذلك. ومثال ذلك -أيضاً-: أن يطلق صياد رصاصة على طائر في مكان خالٍ من البشر فيصيب إنساناً فيقتله، أو أن يرجع سائق بسيارته إلى الخلف بعد أن ينظر يميناً ويساراً ووراء وأماماً، فلا يجد أحداً ويأتي طفل فجأة، ويضع نفسه خلف السيارة فيقتله دون إرادته، ففي هذين المثالين لا إرادة للمقتول في الفعل فقد وقع عليه بفعل غيره.

الدائرة الثانية: دائرة يسيطر عليها: وهي تتعلق بأعماله وتصرفاته التي تقع منه، سواء أكانت خيراً أم

شراً، وهذه الدائرة يحاسب الإنسان عليها ثواباً وعقاباً بحسب ما يفعل؛ **قال تعالى:**
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾
الزلزلة: ٧-٨، فالله تعالى يطلع على هذه الأعمال ويحاسب عليها؛ **قال تعالى:** ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨، **وقوله تعالى:** ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ البقرة: ٧٧.

التقويم

- ١ أذكر آراء العلماء حول أفعال الإنسان وإرادته.
- ٢ أبين علاقة الاختيار والجبر في أفعال الإنسان بالثواب والعقاب يوم القيامة.
- ٣ كيف تردّ على المشركين في احتجاجهم بالقدر على ارتكاب المعاصي؟
- ٤ أوضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكويد: ٢٨-٢٩.
- ٥ كيف تردّ على من يقول أنّ الإنسان مسير في أفعاله؟

الهداية في اللغة تعني: الدلالة والرشاد. ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البقرة: ١٠. وفي الاصطلاح تعني: إقامة الإنسان وجهه على الدين الحق؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: ٣٠. وأما الضلال في اللغة فهو الخفاء والغياب. وفي الاصطلاح: انحراف الإنسان عن الدين الخفيف. فكانه أخفى الفطرة عنده، وغيب عقله عن التفكير الموصل إلى الدين الحق. ولما كان الإيمان بالقدر فرع من الإيمان بأسماء الله وصفاته، وخاصة صفات الإرادة والقدرة والعلم والعدل، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن تترك للإنسان حرية الاختيار، بعد أن عرفه طريق الهدى وطريق الضلال، وأعطاه القدرة على الاختيار؛ ليتحمل بعد ذلك كامل المسؤولية عن اختياره؛ قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٥٦.

■ أنواع الهداية:

للهداية أربعة أنواع، هي:

الأول: هداية الله تعالى لعباده، وهي بمعنى التوفيق والسداد والإلهام، وهذه من اختصاص الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الحج: ٤٥.

الثاني: هداية الأنبياء والرسل: وهي هداية الدلالة والبيان، حيث إنهم - الأنبياء والرسل - الأدلاء على كل هدى وخير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد: ٧؛ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٢٥.

الثالث: هداية الإنسان لأخيه الإنسان، وهي المنبثقة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذا قول النبي ﷺ لعلِّي ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حُمراً النعم»^(١).

الرابع: هداية الإنسان لنفسه: ويكون هذا في تعرض الإنسان لأسباب الهداية ومنافذها، وتكفل الله لمن كان صادقاً في ذلك أن ييسر له الهداية؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الليل: ٥-٧، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زادهم هُدًى وءانزلهم نَقْوَتَهُمْ﴾ محمد: ٧١.

١ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب.

■ أسباب الهداية:

لقد ربط الإسلام بين الأسباب والنتائج، أو المقدمات والنهايات، فمن سلك أسباب النجاح سيبلغ النجاح، ومن سلك أسباب الهداية سيصل إليها.

وأهم هذه الأسباب ما يأتي:

أولاً: مجاهدة النفس، أو بذل الجهد المطلوب للوصول إلى الهداية؛ وهذا مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٩٦ .

ثانياً: انشراح الصدر: فالبحث عن الحق والهدى قضية فطرية، وهذا البحث بمقدار ما يكون

بنفس مقبلة صادقة مع نفسها بمقدار ما ييسر الله لها ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

السَّمَاءِ ﴾ الأنعام: ٥٢١ .

ثالثاً: اتباع النور الذي أنزله الله على أيدي أنبيائه ورسوله؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ

سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة: ٥١ - ٦١ .

■ أسباب الضلال:

إذا كان للهداية أسباب ومقدمات فكذلك للضلال، وكل من يأخذ بالأسباب لا بد أن يصل إلى النتائج.

ومن أسباب الضلال ما يأتي:

أولاً: الظلم: وفي مقدمة الظلم أن يظلم الإنسان نفسه، فيعرض عن آيات الله، أو يغلق أبواب الهداية

ومنافذها؛ وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧ .

نشاط:

أرجع إلى كتاب في الحديث الشريف، وأستخرج منه حديثاً يدل على تحريم الظلم.

ثانياً: التكبر في الأرض، وهو مرض إن أصاب إنساناً يعميه ويُضله عن الطريق المستقيم، بل إنه يقلب له الأمور؛ فيريه الحق باطلاً والباطل حقاً؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ٦٤١.

ثالثاً: الفسق: وهو العصيان ومجاوزة حدود الشرع، فأما إنسان تجاوز حدود الشرع وخرج عن الطاعة فسيصل إلى الضلال؛ كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ البقرة: ٦٢.

رابعاً: استحباب العمى على الهدى: إنَّ طريق الهداية فيها التزام وانضباط سلوك، وتحمل مسؤولية، بينما طريق الضلال تفلت وهروب من المسؤولية. والنفس تتراح إلى الانفلات إلا إذا التزمت بضوابط الإسلام وقواعده؛ وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمْ صَِعْقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فصلت: ٧١.

ومن هنا فإن قمة الاحترام للإنسان أن يترك له مجال الحرية والاختيار للهدى أو الضلال، فلا يجبر أحداً على هداية أو ضلال، كما أنَّ تحمُّل الإنسان للمسؤولية يتوقف على حريته واختياره.

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () الإيمان بالقدر فرع من الإيمان بأسماء الله وصفاته.
 - ب () لا علاقة بين الأسباب والنتائج في نظر الإسلام.
 - ج () الهدى لا يزيد ولا ينقص.
- ٢ للهداية أنواع، أذكر ثلاثة منها، مع دليل شرعي على نوع واحد فقط؟
- ٣ أعدد أهم أسباب الهداية.
- ٤ التكبر من صفات الله سبحانه وليس من صفات المخلوق. أذكر آية كريمة تدل على ذلك.

التوكل على الله تعالى، وربط الأسباب بالمسببات من جملة القدر، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه، وسيّره وفق سنن وقوانين ثابتة، وهذه السنن والقوانين سواء في حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات لا تتغير ولا تبدل، ومثال ذلك: النار تحرق، والسكين تقطع، والإنسان لا يمشي على الماء ولا يطير في الهواء، وعليه كان لا بدّ قبل مباشرة الفعل والقيام به من ربط الأسباب بمسبباتها، ومعرفة خواصّ الأشياء التي خلقها الله تعالى فيها، فليس للإنسان أن يلقي بنفسه في النار، أو عن بناء شاهق، أو يلقي بنفسه في الماء دون معرفته السباحة أو اتخاذ قارب، أو يسير لقتال عدوه دون إعداد العُدّة، مدّعياً في هذا كله أنّه متوكلّ على الله تعالى وما قدّر له كائن، فهذا ينافي التوكل الشرعيّ الصحيح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوها الناس؛ **فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَمَا كَانَ خَيْرَ الْزَادِ الْفَقْوَى﴾** البقرة: ١٩٧^(١)؛ لذلك كان التوكل عليه - سبحانه وتعالى - أولاً وقبل كلّ شيء؛ ثم الأخذ بالأسباب قبل مباشرة العمل جزءاً لا يتجزأ من عقيدة القضاء والقدر، وهذا ما تضافرت عليه نصوص الشريعة من القرآن والسنة.

■ آثار عقيدة القضاء والقدر في حياة المسلم:

■ أولاً: الإيمان بالقضاء والقدر يورث الإيجابية والعمل وينفي السلبية والكسل:

على المؤمن أن يعمل ويجدّ في عمله، وعليه أن يتعد كل البعد عن الخمول والكسل، والواجب عليه كذلك أن يجمع بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب، وهذا ما دعت إليه نصوص الشريعة، فقد أمرت بالعمل؛ **قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** التوبة: ١٠٥، وبالتوكل على الله؛ **قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾** إبراهيم: ١٢، وأمرت كذلك بالأخذ بالأسباب في مختلف شؤون الحياة، ففي طلب الرزق؛ **قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** الملك: ١٥، ومثل ذلك إعداد العُدّة لملاقاة العدو؛ **قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** الأنفال: ٦٠، والأخذ بالأسباب لا ينافي القدر، بل هو من جملة القدر، وهذا ما كان عليه

١ رواه البخاري: كتاب الحج، باب قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَمَا كَانَ خَيْرَ الْزَادِ الْفَقْوَى﴾.

النبي ﷺ، فقد كان يرفع يديه سائلاً الله تعالى النصر، في الوقت الذي يعدّ العدة للقتال، ويحثّ صحابته على العمل وينهى عن العجز والكسل، قال ﷺ: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١)، ويأمرهم بالتداوي وطلب الشفاء، وقوله لما سأله الأعراب: أنتداوى، فقال: «تداواوا فإن الله - عز وجل - لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»^(٢).

وعلى هذا الأساس تربي الصحابة رضي الله عنهم، وتعلموا من النبي ﷺ، فكانت حياتهم مثلاً يحتذى به في المجالات كافة: عبادتهم وجهادهم، إقدامهم وشجاعتهم، كرمهم وعطائهم، فقد كانوا متوكّلين على الله تعالى، لا يتوانون عن ذلك طرفة عين، آخذين بالأسباب وراضين عن النتائج، غير عاجزين ولا مستسلمين، يعلمون أنّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وقد ضربوا بذلك أروع الأمثلة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأمصار، وأخبروه بانتشار الوباء فيها، وعندما أمر عمر بالرجوع، قال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً لها عُذوتان، إحداها خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله^(٣). ومن خلال ما سبق نتبيّن أنّه يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب.

■ ثانياً: الرضا والتسليم وعدم الجزع مما أصابه أو الأسى عما فاتته:

فالؤمن يعلم أنّ الخير والشر مقدّران من الله تعالى، وكلّ شيء مقدر ومكتوب، ولا يقع عليه ذلك إلا بأمر الله تعالى ومشئته، فلا يجزع ممّا أصابه، ولا يأسى عمّا فاتته، إذ لو قدر له لأدركه؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد: ٢٢. وليس المقصود بالتسليم ترك الأخذ بالأسباب والاستسلام لما يقع عليه من بلاء أو ظلم أو تسلط لعدو، بل عليه أن يبذل قصارى جهده للخروج ممّا هو فيه، والتغلب على الصعاب فإن جاءت النتيجة وفق ما أراد فهذا بتوفيق من الله تعالى، وإن جاءت على خلاف ذلك فليصبر ويحتسب وفي كلّ خير.

١ رواه مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز.

٢ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى.

٣ ينظر: القصة بتمامها في البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

■ ثالثاً: القوة والعزيمة والإقدام:

فعمقيدة القضاء والقدر تُكسب صاحبها الشعور بالعزة والقوة؛ فيستصغر قوى الأرض جميعاً أمام إيمانه بقدر الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة: ٥١.

■ رابعاً: الصبر والشكر على قضاء الله تعالى وقدره:

فالمؤمن دائم الصبر على ما أصابه من مصائب، شاكراً لله تعالى على نعمه، فقد قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر وكان خيراً له»^(١).

■ خامساً: الطمأنينة والسكينة:

فالمؤمن بعيد كل البعد عن الحيرة والتردد والاضطراب النفسي؛ لأن إيمانه بقضاء الله تعالى وقدره جعله مطمئناً وراضياً، فوجد السكينة ولذة الإيمان، فقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: «يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني، إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»^(٢).

ومن هنا كان لهذه العمقيدة أعظم الأثر في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، فانطلقوا حاملين لواء الإسلام والدعوة إلى الله تعالى بلا خوف أو وجل، ووقفوا في وجه الظلم والطغيان، وهانت عليهم الصعاب فذلت لهم الرقاب، وخضعت لهم الجبابرة، وما كان لهذا كله أن يحدث لو لم يسلكوا تلك الطريق التي بينها لهم رسول الله، وعلمهم إياها، فها هو ﷺ يُعلم ابن عباس رضي الله عنه فيقول له: «يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٣).

١ رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير.

٢ رواه أبو داود، كتاب السنّة، باب القدر.

٣ رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، باب حديث حنظلة.

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب من جملة القدر .
- ب () يسير الكون وما فيه وفق سنن وقوانين ثابتة .
- ج () يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب .
- د () كل شيء مقدر ومكتوب بما في ذلك الخير والشر .
- ٢ أمثل بمثال واحد لكل مما يأتي :
- أ كان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة الأخذ بالأسباب .
- ب كان الصحابة يجمعون بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب .
- ٣ أذكر ثلاثة من آثار الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم .
- ٤ ما المقصود بقولنا: (على المسلم الرضا والتسليم لقضاء الله تعالى وقدره).
- ٥ أعلل: المؤمن بعيد كل البعد عن الحيرة والتردد والاضطراب النفسي .
- ٦ أستنبط ما تدل عليه النصوص الشرعية الآتية من معان:
- أ قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد: ٢٢ .
- ب قوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر وكان خيراً له» .
- ج قوله ﷺ: لما سأله الأعراب: أنتداوى، فقال: «تداووا، فإن الله -عز وجل- لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم» .

المصادر والمراجع:

- ١ الأشقر، عمر سليمان، عالم الجن والشياطين، طع، مكتبة الكويت، ١٩٨٤.
- ٢ الأشقر، عمر سليمان، القضاء والقدر، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٠.
- ٣ البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكوفية، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢.
- ٤ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي.
- ٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦ الجوزية، ابن قيم، إغاثة اللفهات من مصائد الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.
- ٧ الجوزية، ابن قيم، شفاء العليل لمسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المكتبة العصرية، لبنان.
- ٨ الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١.
- ٩ ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، المسند، تحقيق وتعليق مجموعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٠ الخطيب، محمد أحمد، دراسات في العقيدة الإسلامية، ط١، دار عمار، عمان، ١٩٩١.
- ١١ السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، ط١، منشورات وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٨٣.
- ١٢ سابق، سيد، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣ السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت.
- ١٤ آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مطبعة السنة المحمدية، السعودية.
- ١٥ الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٦ عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهاية، ط١، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٩.
- ١٧ الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، مطبعة حسان، القاهرة، (د.ت).
- ١٨ القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٩ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس.
- ٢٠ مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية.
- ٢١ ابن منظور، أبو الفضل جمال، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٢٢ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٧٩ م.
- ٢٣ ياسين، محمد نعيم، الإيمان: أركانه ونواقضه، ط٦، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧ م.

المشاركون في إنجاز هذا العمل:

تم الكتاب بحمد الله